الطائفية بين الدافع الديني والاستغلال السياسي

فتنة العوا

زينب رضوان.. مثال لمأزق النسوية والتجديد



www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد - العدد ١٠٤ - صفر ١٤٣٣هـ

إيران

ولايــة الفقيــه

لبنان

ســـوريا

العــــراق

وسقط القناع عن السياسات الشيعية في المنطقة

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

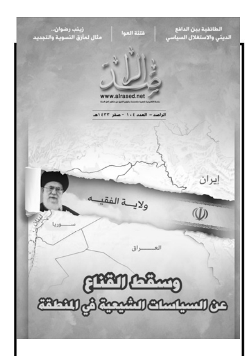
دراســـــــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٠٤)
صفر - ١٤٣٣ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

وسقط القناع عن السياسات الشيعية في المنطقة

منذ سنوات عديدة والعقلاء يحذرون من السياسة الشيعية التي تقوم بها إيران وأعوانها في المنطقة تحت ستار الشعارات البراقة كالوحدة الإسلامية ونصرة المستضعفين ومن ثم تبني دعم المقاومة والسير في محور الممانعة، وللأسف لم ينصت الكثير من الإسلاميين والقوميين واليساريين إلى صوت العقلاء، واستمروا في حسن الظن بالسياسة الشيعية الإيرانية، ولذلك رأيناهم يصطفون مع إيران في الكثير من المواقف مثل تأييدها في الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ – ١٩٨٨)، وعدم إدانة إيران في كثير من جرائمها مثل تفجيرات مكة المكرمة ومحاولة اغتيال أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد والتفجيرات في الكويت وإثارة الاضطرابات في البحرين مطلع الثمانينيات.

ومن ثم جاءت مرحلة إنشاء حزب الله اللبناني ومشاركته في المقاومة، وفي ظل السيطرة السورية على لبنان تم رعاية الحزب وتسمينه وضرب منافسيه حتى أصبح الميلشيا الطائفية الأكبر ثم الوحيدة في لبنان، ورافق ذلك تحول الحزب إلى ذراع ضاربة لإيران في المنطقة والعالم فتورط في عمليات إرهابية في الكويت والسعودية والبحرين واليمن والعراق ومصر ومؤخراً في ليبيا وسوريا ضد الثورة ولمصلحة نظام المجرمين القذافي والأسد.

وتصاعد في هذه المرحلة نشاط القوى الشيعية المرتبطة في البحرين سواء في قطاع التخريب والتفجير أو مسار السياسة والديمقراطية، وللحصول على أكبر قدر من المكاسب كان يتم المزاوجة بين الأسلوبين فأصبح التخريب في خدمة السياسة، فكلما فشلت مخططاتهم الدنيئة كان يتم اللجوء للتخريب ومن ثم ترضخ الدولة لمطالبهم في طاولة المفاوضات!!

أما في العراق فرغم شعارات محاربة الشيطان الأكبر إلا أن الشيعة وصلوا للحكم على الدبابة الأمريكية التي استدعوها في مؤتمر لندن المشهور عام ٢٠٠٠، وجاءت فتوى السيستاني بوقف المقاومة والجهاد ضد الأمريكان لتمكين الشيعة من الإمساك بمفاصل السلطة، وهذا كله تم برضى ومباركة ودعم المرشد الأعلى الإيراني الذي دعم احتلال العراق وأفغانستان من قبل أمريكا.



وقامت القوى الشيعية المختلفة بالعديد من الإبادات الطائفية بحق السنة العراقيين والفلسطينيين، وواصلت هذه السياسات الإقصائية للسنة بإبعادهم عن الجيش والشرطة والمخابرات، وإفراغ الانتخابات من محتواها عبر تعطيل استحقاقاتها ٨ شهور حتى رضخ الجميع لرغبة المالكي الخاسر في الانتخابات!!

وفي اليمن شهدنا حروب الحوثيين المتكررة ضد سلطة الدولة بمختلف الأسلحة وبدعم من مليشيات شيعية عراقية ولبنانية والتي سقط فيها الكثير من القتلى.

ورغم كل هذه السياسات الشيعية الطائفية والمواقف غير

الوطنية إلا أن قطاعاً كبيراً من الإسلاميين والقوميين واليساريين ظل على تأييده لإيران وأعوانها بحجج شتى منها:

دعم محور المقاومة والممانعة، فساد محور الاعتدال، ضرورة الترفع عن الفرقة في مواجهة المشروع الصهيوني، أن الصراع الشيعي السني مخطط إسرائيلي..

ولكن اليوم ومع تسارع الأحداث لم يعد هناك عذر لأحد في الثقة بسياسات القوى الشيعية وقد كشفت عن حقيقتها الطائفية وطابعها الديكتاتوري ونزعتها الفاشية وممارساتها الإجرامية والدموية.

فمحور الممانعة والذي كان يخفي طائفيته وهويته الشيعية خلف بعض الواجهات السنية كحركة حماس وجماعة الإخوان وشخصيات مرموقة كالشيخ القرضاوي، سقط عنها القناع بانفضاض هذه الحركات والشخصيات عنها وخاصة في الموقف من الثورة السورية.

فإيران اليوم تقوم سياستها بكل وضوح على الديكتاتورية ضد أغلب شعبها وعلى كافة الأصعدة فكثير من الأقليات والعرقيات هي ضحية القمع والاضطهاد كما أن المعارضة السياسية والتي هي جزء من النظام والتي تعارضه على نفس الأرضية وهي أرضية النظام الإسلامي الخميني وأن خلافها محصور بشخصية نجاد وسياساته، ولم يتوقف الأمر على هذا بل وصل البطش إلى انقسام المعسكر الحاكم نفسه فأصبحت هناك اليوم حرب قذرة وشرسة بين نجاد وخامنئي.

أما سياسة إيران الخارجية اليوم فتتمحور حول إنقاذ نظام المجرم بشار الأسد عبر دعمه بالمال والرجال والخبرة وحشد أعوانها خلفه، وإثارة الاضطراب في المنطقة لتخفيف الضغط عن نظام بشار.

وفي سوريا اليوم حرب إبادة يقوم بها النظام ضد شعبه فقتل الآلاف وأصاب أضعافهم وانتهك فيها حرمة المساجد والمصاحف.

وفي لبنان اختطف حزب الله لبنان وهمش كل القوى السياسية الأخرى، ويعمل الآن على إفشال العمل العربي لنجدة الشعب السوري في الجامعة العربية والأمم المتحدة مع بعض أعوان إيران كالعراق وأصدقائها كالسودان والجزائر.

وفي العراق لا يخفي المالكي نيته بالاستيلاء على السلطة وإقصاء السنة من المشهد كله، ولا يفرق في ذلك بين تنظيم القاعدة أو الحزب الإسلامي، ولم يتورع عن اتهام نائب رئيس الجمهورية طارق الهاشمي وقيادات القائمة العراقية، حتى ينفرد بحكم العراق وهو في ذلك ينسق مع إيران.

وفي البحرين لا زالت المحاولات الشيعية مستمرة لقلب نظام الحكم والاستيلاء عليه سواء بتغيير قواعد اللعبة السياسية أو عبر الثورة والعنف.

وفي السعودية وضع شبيه بمحاولات البحرين لكن الغرض منها التشويش على السياسة السعودية وإلهائها بنفسها عمّا يجري حولها في البحرين واليمن وسوريا.

وفي اليمن يعمل الحوثيون على استغلال الفوضى والفراغ للوصول إلى البحر ليكونوا على صلة مباشرة بالدعم الإيراني المتواجد في جزر البحر الأحمر، وفي نفس الوقت حاولوا طرد السلفيين في دماج من محافظة صعدة في تطهير طائفي لتكون صعدة محافظة مغلقة على الحوثيين المتشيعين.

وفي مصر استغل المتشيعون الحالة الانتقالية لمحاولة تأسيس حزب شيعي (حزب التحرير)، وإعلان شعائرهم علانية في مسجد الحسين يوم عاشوراء، وهو ما تكرر في تونس.

فهل بقي بعد هذا كله من شك في حقيقة السياسات الشيعية وأهدافها البعيدة القائمة على الاستيلاء على الحكم، وإبادة الآخرين وقمعهم، وأن الشعارات البراقة كانت خدعة للوصول عبرها وعلى أكتاف شركائهم السنة إلى أهدافها الطائفية؟

وأن هذه السياسات الشيعية الطائفية تشترك بها كل القوى الشيعية الدينية وغير الدينية، الثورية والسلمية، العربية والإيرانية، إن الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع هي أن جميع القوى الشيعة تنطلق من رؤية طائفية واحدة رغم تعدد بلدانهم أو يافطاتهم وأنهم يدورون في فلك إيران.

٢٠- أمين الخولي

أسامة الهتيمي(*) - خاص بـ «الراصد»

يحلو لي أن أبدأ مقالي عن الشيخ أمين الخولي بالعبارة التي أوردها الدكتور أحمد محمد سالم في مقدمة كتابه «الجذور العلمانية في الفكر التجديدي عند أمين الخولي» والتي قال فيها: «ومن هنا كان لا بد من إعادة النظر في فكر الشخصيات التي يقترب فيها الإسلام من العلمانية أو العلمانية من الإسلام ولعل شخصية الشيخ أمين الخولي أحد أبرز هذه الشخصيات التي حاولت أن تقرب بين الديني – المدني والروحي – الزمني».

وتكمن أهمية هذه العبارة في كونها تلخيصا بليغا للدور الفكري الذي قام به الشيخ أمين الخولي حيث استند لأفكاره وأطروحاته الفكرية وما زال الكثير من المحسوبين على التيار العلماني والتأويلي الذي يسعى إلى تفريغ الإسلام من مضمونه وحصره اضطراريا وليس اقتناعا في طقوس وعبادات.

كما تكمن خطورة أفكار الخولي في كونه شيخا معمما ينتمي لأهم وأكبر مؤسسة دينية وهي الأزهر ومن ثم فإن لأفكاره صدى وتأثيراً كبيرين خاصة وقد كان للرجل جهد نضالي وإصلاحي إبان فترة الاحتلال البريطاني لمصر لا يغفله أي منصف دارس لتلك المرحلة بل ويحظى بإعجابه.

من القرية للمجمع

ولد أمين إبراهيم عبد الباقي عامر إسماعيل يوسف الخولي في الأول من مايو عام ١٨٩٥ في قرية شوشاس في مركز أشمون بمحافظة المنوفية – دلتا مصر – لأسرة مصرية متوسطة الحال حيث كان يعمل والده مزارعا وقد حرص على تحفيظ ابنه القرآن الكريم وهو ما تم له إذ تمكن أمين من حفظه وهو ابن عشر سنوات ليلتحق بمدرسة لافيسوني في القاهرة ثم مدرسة المحروسة ثم مدرسة القضاء الشرعي التي تخرج فيها بتفوق عام ١٩٢٠ وهو ما أهله للتعيين بها مدرسا.

لكن وبعد ثلاث سنوات فقط من قيامه بالتدريس بمدرسة القضاء الشرعي اختارت الحكومة المصرية آنذاك الشيخ الخولي ليكون إماما للسفارة المصرية في روما

(*) كاتب مصري.

والتي استقر بها نحو ثلاث سنوات أيضا انتقل بعدها للمفوضية المصرية في برلين عام ١٩٢٦م ليعود بعد عام واحد من نقله لبرلين إلى القاهرة مرة أخرى لوظيفته في القضاء الشرعي.

وعلى الرغم من كون الخولي لم يحصل على درجتي الماجستير أو الدكتوراة إلا أنه وفي عام ١٩٢٨ انتقل ليعمل في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وظل بها حتى ترأس القسم عام ١٩٤٦م.

هذا وقد تقلد الخولي العديد من المناصب والمواقع الثقافية الهامة ففي عام ١٩٥٣ عين مستشارا لدار الكتب كما عمل مديراً عاما للثقافة حتى خرج إلى المعاش أول مايو/ أيار عام ١٩٥٥ ثم اختير عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٦م وهو نفس العام الذي توفي فيه.

الدور الوطني

استطاع الطالب أمين الخولي أن يجذب بذكائه ونبوغه انتباه ناظر مدرسة القضاء الشرعي الشيخ عاطف بركات ابن شقيقة سعد زغلول الذي كان معجبا به جدا فقربه منه غير أن بركات اعتقل مع زغلول في ٨ مارس ١٩١٩م وتم نفيه معه إلى جزيرة سيشل وهو ما كان سببا رئيسيا في اشتعال ما سمي تاريخيا بثورة ١٩١٩م وهنا برز دور الخولي النضالي حيث حمل علم مدرسة القضاء الشرعي وقاد المظاهرة إلى (الأزهر) فحاصرهم حكمدار القاهرة بجنوده وهددهم بإطلاق الرصاص إذا لم يتفرقوا إلا أن الطالب أمين تقدم إليه قابضا على العلم وكاشفا صدره قائلا (ها أنا ذا) وتماسك الطلاب وتراجع الحكمدار وانسحب الجنود وسارت المظاهرة تهتف للاستقلال وتطالب بالإفراج عن سعد زغلول ورفقائه وعندما وصلت المظاهرة إلى ميدان باب الحديد (رمسيس حاليا) قاد «الخولي» المظاهرة إلى حي الفجالة.

وهكذا فقد كان للخولي مواقف نضالية أخرى امتدت حتى بعد ثورة ٢٣ يوليو التي رفض الكثير من قراراتها فما كانت النتيجة إلا أن تم إبعاده عن الجامعة وإحالته للعمل في دار الكتب.

المؤثرات الفكرية

الناظر في سيرة أمين الخولي يلحظ أن هناك أمرين كان لهما أشد الأثر في بناء شخصيته الفكرية:

الأول: علاقته بعاطف بركات ومن ثم بقيادات ثورة ١٩١٩م الذين كانوا يمثلون التيار الوطني في هذا الوقت وهو تيار كانت تتركز رؤيته إلى الإسلام على اعتبار أنه المنظم لمجموعة القيم الأخلاقية والمبادئ الاعتقادية الخاصة بالمجتمع المصري وليس باعتباره أيضا مشروعا نهضويا وحضاريا بل وحاكما لهذا المجتمع وهي بكل أسف كانت نظرة أغلبية العاملين في العمل السياسي آنذاك إلا من قلة تمثلت في بعض الأحزاب كالحزب الوطني الذي أسسه وتزعمه مصطفى كامل.

الثاني: سفر الخولي وإقامته لسنوات في أوروبا حيث تعلم الإيطالية ثم الألمانية وقد كتب بهما العديد من المقالات وهو ما يشير إلى مدى تأثر الرجل بالأجواء الثقافية في أوروبا في فترة كانت تعاني فيها مصر من الاحتلال والاستبداد وهو ما أكده الكاتب الشيعي زكي الميلاد في مقالة له بعنوان «أمين الخولي والمجددون في الإسلام» إذ يقول: «وقد بقيت هذه الرحلة إلى إيطاليا وألمانيا في ذاكرة الخولي وشكلت محطة تركت تأثيرات في وعيه وشخصيته وفي تكويناته الفكرية والثقافية».

النشوء والارتقاء

ولعل أبرز ما يكشف عن أثر الحياة الأوروبية في فكر

الخولي هو تبنيه بل والدفاع عن نظرية النشوء والارتقاء «الدارونية» التي صاحب طرحها جدلا فكريا واسعا ليس في أوربا فحسب بل وفي البلدان العربية والإسلامية أيضا.

والغريب أن الخولي كان من قلة قليلة ممن يحسبون على مؤسسة الأزهر الذين تحمسوا لهذه النظرية على الرغم من أن هذه النظرية كانت الباب الرئيس الذي استغله الإلحاديون والماديون في التأصيل والترسيخ لأفكارهم المادية وهو ما وسع من دائرة الكفر والإلحاد.

والأغرب أن الخولي تجاوز حدود قناعته بالنظرية الدارونية إلى تدريس النظرية في جامعة الأزهر ففي عام ١٩٢٧ وبعد تكليفه بتدريس مادة الأخلاق في كلية أصول الدين قام الخولي بتأليف محاضرات في الأخلاق جمعت في كتابه عن الخير وقد أعطى الخولي للنظرية مساحة كبيرة في محاضراته.

كان الخولي يرى أن مذهب النشوء والارتقاء «هو مذهب طبيعي يتصدى للبحث في الحياة ونشوء الأنواع وكيف تم ذلك ولكنه يقرر أيضا نواميس طبيعية مطردة تجري على المعنويات جريانها على الماديات فعم تطبيعه سائر فروع المعرفة الإنسانية ومظاهر الحياة البشرية المختلفة»

وبحسب الخولي فإن مبادئ الدارونية تعني أن الانتخاب الطبيعي قوة دائمة الفعل في استخراج التغايرات العرضية في العوالم العضوية كافة نافية ما كان منها مضرا مبقية على ما كان مفيدا صالحا بما يلائم طبيعة حالات الحياة المحيطة ووفقا لمبادئ الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح وتناحر الأحياء ينشأ بعض الأنواع من بعض وعلى هذا فليس بين الأنواع فروق ثابتة ولا هي ظهرت على الأرض هكذا منذ خلقت والإنسان في جملة الأحياء لم يكن هكذا منذ خلق بل هو دائم التحول والتغير منذ القدم وقد مر بأحوال مختلفة حتى انتهى منها إلى الحالة الحاضرة.

ويدافع الخولي عن نظرية التطور ويرى أن الخلاف الذي حدث في الغرب حولها ومهاجمة رجال الدين لها كان بسبب ما جاء في التوراة من تفصيل عمليات الخلق والإيجاد في ستة أيام وظهور الأحياء نوعا نوعا».

ويؤكد الخولي على أن دارون وأتباعه من الدارونيين لم ينكروا الألوهية ولهذا فالنظرية لا تخالف الإسلام فيقول: «إن لا مارك رأس الباحثين المحدثين لا ينكر وجود الله بل يسلم ويقرر أنه الذي خلق الأصل وجعل فيه هذه القابلية للتطور.. ثم هذا دارون مؤسس المذهب يؤثر عنه أنه يقول بأنه يستحيل على العقل الرشيد أن يخالجه الشك في أن هذا العالم الفسيح بما فيه من الآيات البالغة وتلك الأنفس الناطقة المفكرة يصدر عن صدفة عمياء وهذا المذهب لا يخالف الإسلام لأنه ليس فيه إنكار للإله ونحن لا ننكر أن من القوم ماديين يرفضون التأليه والألوهية ويعللون ظهور العالم والأحياء فيه بما يقال في فكرة النشوء لكن ذلك شيء ليس من أصول المذهب ولا مقرراته ولا تلحقه تبعته بل المذهب كما قال العالم الطبيعي توماس هكسلي يستحيل نقض الألوهية بمقتضاه».

ثم يستند الخولي إلى نصوص لعلماء مسلمين تحدثوا عن فكرة النشوء في محاولة منه لتأصيل النظرية إسلاميا فينقل عن ابن مسكويه (٤٢١ هـ) ما قاله في كتابه (الفوز الأصغر) حيث قال: «إن المعادن لتصل آخرها بأول النبات والنبات متصل آخره بأول الحيوان والحيوان يتصل آخره بأحط الإنسان ثم لا يزال الإنسان يترقى حتى يصل إلى درجة الملائكة في أشخاص المختارين.

نظرية متهافتة

وهنا نرانا مدفوعين للبدء في ردنا على انحياز الخولي لهذه النظرية من آخر ما استعرضناه وهو قول ابن مسكويه

وهو الرأي الذي كما هو واضح من عبارة ابن مسكويه ذو علاقة بالجانب الخلقي والسلوكي وليس بجانب الخلقة كما أشارت النظرية الداروينية فليس أحط الحيوانات تطورا لأعلى النبات وليس أعلى البشر متصلا بدرجة الملائكة على مستوى الخلق فهذا من مادة وذاك من مادة أخرى.

وقد فند العلم الحديث نظرية دارون فيقول أوستن كلارك: «لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أياً من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيرها. إن كل مرحلة لها وجودها المتميز الناتج عن عملية خلق خاصة متميزة. لقد ظهر الإنسان على الأرض فجاء وفي نفس الشكل الذي تراه عليه الآن». كما يقول ستيوارت تشيس: «أيد علماء الأحياء جزئياً قصة آدم وحواء كما ترويها الأديان وأن الفكرة صحيحة في مجملها «في حين أبطل باستور أسطورة التوالد الذاتي وكانت أبحاثه ضربة قاسية لنظرية داروين.

والأهم أن الكثير ممن تبنوا هذه النظرية تراجعوا عن أهم أفكارها وإن كانوا حرصوا على الوفاء لأصلها ولهذا أطلق عليهم أصحاب نظرية الداروينية الحديثة والذين أقروا بأن قانون الارتقاء الطبيعي قاصر عن تفسير عملية التطور واستبدلوا به قانوناً جديداً أسموه قانون التحولات المفاجئة أو الطفرات وخرجوا بفكرة المصادفة كما اعترفوا بأن هناك أصولاً عدة تفرعت عنها كل الأنواع وليس أصلاً واحداً كما كان سائداً في الاعتقاد بالإضافة إلى إقرارهم بتفرد الإنسان بيولوجياً رغم التشابه الظاهري بينه وبين القرد وهي النقطة التي سقط منها داروين ومعاصروه.

معركة خلف الله

كانت أفدح سقطات أمين الخولي هي موقفه من محمد أحمد خلف الله الذي كان الخولي المشرف على رسالته للدكتوراة في كلية الآداب فالخولي لم يكن مشرفا فقط على هذه الدراسة التي كان يمكن أن يتبرأ منها ومما جاء فيها بل إن الخولي اتخذ موقف الدفاع عن الطالب خلف الله ومن ثم فقد كان دفاعه أيضا عما تضمنته هذه الرسالة من أفكار عدها العلماء خروجا صريحا على الثوابت الإسلامية.

وكانت معركة خلف ورسالة «القصص في القرآن» واحدة من أبرز المعارك الفكرية والدينية والثقافية في أربعينيات القرن الماضي فالرسالة التي كانت بإشراف الخولي شارك في مناقشتها كل من الأستاذين أحمد أمين وأحمد الشايب وقد كتب كل منهما تقريراً عنها.. فكتب أحمد أمين بأنها لا تصلح لضعف منهجها العلمي، أما الشايب فرأي أن بها شيئاً يمس الدين لأن خلف الله قال فيها إن القصص القرآني لم يراع الحقيقة التاريخية وأن المقصود منه غرض فني فلسنا ملزمين بتصديق حقائق هذا القصص وإنما نقدر فيه الغاية الفنية.

ويضيف الشايب في تقريره إن خلف الله يقول إن القصص مستمد من مصادر أخرى غير عربية كالتوراة والأدب اليوناني والأدب الفارسي وأن فيه أساطير لا أساس لها.

وبناء على ما تقدم فقد رأى الشايب أنه لا يجوز أن تعرض رسالة تتضمن هذه الآراء للمناقشة في لجنة الدكتوراة وهو ما استفز الخولي فكتب تقريرا مقابلا لتقرير الشايب أكد خلاله أنه متضامن مع الطالب ومع كل حرف في الرسالة وأنه لا ينبغي الوقوف أمام حرية الفكر.

وقد أثار موقف الخولي الداعم لهذه الرسالة لغطا كبيرا دفع بالكثير من العلماء والكتاب إلى مهاجمة وانتقاد الخولي وصل في بعضه إلى حد تكفيره.

وكان من أكثر المفارقات المثيرة التي كشفها الشيخ عبد الفتاح بدوي المدرس بكلية اللغة العربية بالأزهر وقتها أن الشيخ أمين الخولي الذي يرفض موقف الشايب والعلماء من رسالة خلف الله ويطالبون برفضها ويعدها ضد حرية الرأي والتعبير برغم ما جاء فيها من مخالفات هو

نفسه الذي كان عضوا في مجلس تأديب عقدته الجامعة لفصل طالب الدراسات العليا كمال منصور بسبب مقال رأي كتبه في جريدة البلاغ عن موقف الجامعة من الدكتور طه حسين.

غير أنه وبكل أسف فقد بقيت هرطقات خلف الله المتخلفة والمخالفة تجد من يتبناها بعدما فتح الخولي الباب أمامها فتجد أمثال نصر أبوزيد – تلميذ خلف الله – ليروج لها ويفتن بها بعضا من طلاب العلم الذين كان قدرهم أن كانوا تلامذة له في كلية الآداب بجامعة القاهرة إلى أن ينتبه له المخلصون فيطرد ويكفر فتتلقفه أوروبا وترعاه ليواصل مسيرة الضلال والإضلال.

زينب رضوان.. مثال لمأزق النسوية والتجديد

فاطمة عبد الرؤوف(*) - خاص بـ «الراصد»

الدكتورة زينب رضوان واحدة من أشهر الداعيات للفكر النسوي بعد إضفاء الصبغة الشرعية والدينية عليه وتقدم أطروحاتها في هذا المجال تحت لافتة التجديد الديني والخروج من أسر الفقه والفقهاء الذين اجتهدوا وفقا لظروف عصرهم التي تغيرت تغيرا شديدا ولم تعد تلائم عصرنا الحالي ومن ثم ينفسح المجال واسعا أمامها لإضفاء مشروعية ما على الفكر النسوي المتهافت كي يصبح مقبولا من القاعدة الجماهيرية المسلمة التي لازالت ورغم كل محاولات التشويه تستشعر بفطرتها الحق.

الدكتورة زينب رضوان شغلت منصب عميد كلية دار العلوم/ فرع الفيوم، وهي كلية ذات طابع إسلامي متخصصة في دراسة علوم العربية والشريعة الإسلامية وقد حاولت فرض فكرها على طلبة الكلية ذوي الانتماء الإسلامي مما دعا الكثيرين لمقاطعة محاضراتها وكثرت الحوارات والنقاشات الحادة بينها وبين الطلاب.

كان انضمام الدكتورة زينب رضوان للمجلس القومي للمرأة المعروف بتبنيه الأجندة النسوية العالمية بمثابة تتويج لطبيعة الفكر الذي تتبناه وأصبحت تمثل رقما مهما في المجلس نتيجة تغليفها للفكر المستورد بغطاء شرعي ومن ثم انضمت للحزب الوطني الحاكم آنذاك والمعروف بتبعيته التامة للغرب علاوة على فساده بالطبع، أصبحت الدكتورة زينب رضوان وكيلا لمجلس الشعب وكان لها العديد من الأطروحات التي أثارت لغطا واسعا حتى أن لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قامت بإعداد مذكرة شديدة اللهجة تستنكر فيها تصريحات د.زينب رضوان وكيل مجلس الشعب والخاصة بتوريث غير المسلمة من زوجها المسلم بعد وفاته.

جاء في المذكرة التي أعدها د.عبد الفتاح الشيخ رئيس اللجنة أن توريث غير المسلم مخالف للثوابت وللشريعة الإسلامية. وأصدر المجمع بيانا يستنكر فيه هذه التصريحات التي تخالف ما هو معلوم من الدين بالضرورة حيث أجمع المسلمون على اشتراط الإسلام في التوريث.

الحجاب والتطور

ترى د.زينب رضوان أن الإسلام يدعو للاحتشام وهي مسألة نسبية تختلف من عصر لعصر ومن مكان لآخر والسيدة رضوان قامت بتطبيق ذلك عمليا على نفسها فهي تكشف عن شعرها وعنقها.

تعلق على آية الحجاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٥٩] بقولها: «ونص الآية يفيد أن جميع النساء حتى ذلك الحين كن يخرجن سافرات وتقع أعين الناس عليهن وأن هذا كان سائغا وجاريا في العهد النبوي المدني وعلى أية حال فإن الآية تفيد أن إدناء الجلباب تعليم بزي خاص تعرف به المؤمنات ويفرق به بين الحرائر والإماء (والأمة في ذلك الوقت كانت مستباحة).

وتنقل عن محمد عزة دروز «فيمتنع بذلك أذى الفساق والفجار عنهن وصيغة الآية تشريعية مستمرة الشمول من دون

(*) باحثة مصرية.

ريب غير أن الذي يتبادر لنا من روحها وظروف نزولها أن شمول التشريع فيها قياسي أكثر منه شكليا أي أنه يوجب على المؤمنات زيا أو مظهرا خاصا يميزهن عن العاهرات ويمنع عنهن أذى الفساق إذا كانت الحالة تستدعي دون التقيد بنفس الشكل الذي كان جاريا وقت نزول الآية[1]».

هذا التلاعب بالألفاظ من أهم سمات هذه المدرسة ففي الظاهر إيمان بمضمون الآية ثم يتم تفريغ هذا الإيمان من أي محتوى ويترك القضية سائلة هلامية تتلاعب بها الأهواء البشرية.

يتضح الأمر بالنسبة لموقفها من الحجاب أكثر في تعليقها على آيات الحجاب الموجودة في سورة النور، حيث تقول: «﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] الخمر جمع خمار وهو غطاء أو وشاح كان النساء يتشحن أو يتقنعن به والجيوب جمع جيب وهي شقوق الثوب التي تظهر عادة بعض أجزاء البدن بالصدر والظهر.

وهناك حديث يرويه الترمذي وأبو داود عن عائشة عن النبي ﷺ قال: (لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار) والمقصود من كلمة حائض هنا المرأة البالغة ويفيد الحديث كما هو متبادر أن الخمار هو غطاء للرأس ويتبادر لنا من إيجاب الخمار في الصلاة أنه غير واجب ومحتم في غيرها.

ومن المتبادر أن الأمر هو بسبيل فرض الحشمة وعدم إظهار المفاتن اتقاء للإغراء والفتنة وليس بسبيل فرض زي خاص كان مستعملا فالأزياء والأشكال عرضة للتطور والتبدل والذي ينبغي أن يظل قائما متحققا على اختلاف الأزمنة والأمكنة هو الهدف الذي نوهنا به.

ولو كان على المسلمين أن يلتزموا بالأزياء التي كانت ممارسة لوجب عليهم أن يلتزموا بأزياء النبي وأصحابه بدون اختيار شيء دون شيء ولم يقل أحد من علماء المسلمين بذلك ولم يجبر على ذلك أحد من لدن الخلفاء الراشدين إلى اليوم»[2].

وفي السياق نفسه يبدو جليا تحريف الكلم عن مواضعه فالحديث الذي رواه الشيخان عن أنس «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي وقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سلمة مشمرتين أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانها في أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغهما في أفواه القوم»، تضع د. رضوان هذا الحديث في سياق يوحي أن هذا هو الأصل وليس نتيجة حالة استثنائية كما أن غزوة أحد وقعت قبل فرض الحجاب، وهناك عدد آخر من الأحاديث الضعيفة التي تستشهد بها.

والغريب في الأمر أنه لو وجد رأي شاذ لأحد علماء السلف فإنه يتم إبرازه كأنه الحق الضائع والذي تم تغييبه من قبل الفقهاء المنافسين!!

بلغ من رفض د.زينب رضوان للحجاب أن قامت بعمل بحث ميداني عندما كانت رئيسة لوحدة البحوث الدينية والمعتقدات بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية عن ظاهرة الحجاب التي تراها غير طبيعية وغير مناسبة للتقدم وطبيعة العصر، وكعادة البحوث الموجهة والتي لا تتسم بالحيادية وجدت الدكتورة زينب رضوان أن أمهات المحجبات كن أميات بينما كانت الظاهرة تتجه للاختفاء في حال تعلم الأم بمعنى أن هناك علاقة عكسية بين تعليم الأم واتجاه فتياتها نحو التحجب.

التعدد المرفوض

كعادة النسويات ترفض الدكتورة زينب رضوان تعدد الزوجات وترى فيه إهداراً لكرامة المرأة وتؤكد على حق المرأة في طلب الطلاق وفي هذا تلميح قوي أن المرأة التي لا تطلب الطلاق حال التعدد إمرأة ذليلة لا كرامة لها.

ثم تحصر الحالات التي يمكن التجاوز فيها وقبول قضية التعدد (وعلى ضوء ما سبق يصبح هذا التعدد محصورا في حالة محدودة للغاية وهي التي تكون فيها الزوجة إما عاقرا أو مريضة ولا عائل لها سوى الزوج وترغب هي في الاستمرار معه بحيث يكون من عدم الرأفة أو الإنصاف طلاقها مع التأكيد على العدل

(١) انظر: المرأة بين الموروث والتحديث.. دكتورة زينب رضوان ص٢٢١.

(٢) السابق ص٢٢٤،٢٢٥.

الكامل بينها وبين الزوجة الأخرى)[1]. وهو تدخل غريب في أمور خاصة وحساسة لا يعلمها إلا الزوجان فقط ولا رقيب عليهما إلا الله تعالى[2].

وتنقل عن الشيخ محمد عبده قوله: (وبالجملة فيجوز الحجر على الأزواج عموما أن يتزوجوا غير واحدة إلا لضرورة تثبت لدى القاضي ولا مانع من ذلك في الدين البتة وإنما الذي يمنع ذلك هو العادة فقط)[3].

ولن نعدم تفسيرات غريبة للدكتورة رضوان حول قضية التعدد كتفسيرها لحديث «لعن الله الذواقين والذواقات» وإسقاط ذلك على قضية تعدد الزوجات، والحديث ضعيف عند العلماء وهو يتحدث عن الرجال الذين يطلقون ويتزوجون بكثرة من غير بأس إلا اتباع الشهوة وليس على الرجل الذي يعدد، وعلى الرغم من ذلك يتم الاستشهاد به لتأييد موقفها!

ولقد كانت تسعى من خلال عضويتها بمجلس الشعب المصري لتقنين تشريع يحظر تعدد الزوجات إلا بموافقة القاضي كما صرحت بذلك في العديد من حواراتها الصحفية.

وهي لا تجد غضاضة في الفخر باتفاقية الغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو) التي تسير وفقا لهداها في السعي لإصدار القوانين فتقول: (واتساقا مع ما سبق فقد صدقت مصر على العديد من الاتفاقيات ومنها الاتفاقية الدولية للقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة وأصدرت بموجب ذلك القرار الجمهوري رقم ٤٣٤ / ١٩٨١ وبذلك أصبحت لها قوة القانون في مصر)[4].

القوامة المهترئة

في الوقت الذي تسعى فيه د. زينب رضوان لكسب حقوق متوهمة للمرأة لا تدخر جهدا في تقليص حقوق الرجل إلى الحد الأدنى، ربما للوصول إلى إلغاء كافة هذه الحقوق في تصور نسوي ساذج يفتقد لأقل مقومات العدالة وأي حس للفطرة الإنسانية السليمة فهي ترى أن القوامة ليست للرجل ولكن للأصلح فإذا كان الرجل أصلح فهي له وإن كانت المرأة هي الأصلح فالقوامة لها وهي تأتي في هذا السياق بمقارنات مضحكة فهي تقارن بين كل أفاق ومنحرف وشاذ وفاسق وبين السيدة خديجة وأمهات المؤمنين وفضليات النساء وما هكذا تقاس الأمور، وكان الحري بأستاذة الفلسفة الإسلامية بما تحويه من منطق وقياس أن تتحرى السلامة في القياس فأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها الكاملة الطاهرة كانت زوج الرسول الخاتم ﷺ وما كان أسعدها بتلك القوامة.. ومن العقل والشرع أن تتحرى المرأة ووليها الكفاءة في الزوج ويشغل الدين والخلق قمة هرم الكفاءة المطلوب كما يشغل الدين والخلق قاعدته وأساسه وبين هذا وذاك تأتي تفاصيل كثيرة حتى تستمتع المرأة وتأنس بقوامة زوجها.

والحقيقة أنه لا توجد امرأة طبيعية تتمنى أن تكون هي القوامة على البيت بل تتمنى كل امرأة مسلمة كانت أو غير ذلك أن تأوي إلى رجل قوي ذي رحمة ولين، حازم الرأي ولكن يقدس الشورى، ينفق عليها ويكرمها بقدر ما كتب الله له من الرزق وهذا هو جوهر القوامة تكريم وإعزاز للمرأة لكن النسويات لا يفقهن. تقول د. زينب رضوان عن القوامة: (وعليه فالقوامة هي تكليف للرجال بالقيام على شئون النساء ورعايتهن ومبرر هذا التكليف ما يتصف به بعض الرجال من صفات تؤهلهم للقيام بهذه المهمة. وعليه نستطيع أن نقول في ضوء هذا الفهم أن لبعض النساء كذلك قوامة على بعض الرجال لوجود صفات لديهن يَفْضلن بها الرجال وتكون مبررا لقوامتهن عليهم وبناء على ما سبق يمكن القول أن طاعة النساء للرجال إنما تكون بمعنى التزام صاحب المصلحة برأي من يقوم على مصلحته وهو أهل لها)[5].

(١) السابق ص ١٥٠.

(٢) انظر مقال: قضية التعدد.. مقاربة واقعية لكاتبة هذه السطور منشور على الشبكة العنكبوتية.

(٣) المرأة بين الموروث والتحديث ص ١٥٤.

(٤) السابق ص ٨٤ بتصرف يسير.

(٥) السابق ص١٢١، ١٢٢.



صفحات من تاريخ الباطنية (١):
«ميمون القدّاح» يؤسس الفكر الباطني

نوفل الجبلي(*) - خاص بـ «الراصد»

تمهيد

جاء الإسلام بنوره الساطع ليُبدد ظلمة الكفر والإلحاد، وأقبَلَ الدين الحنيف يَلفُّ أرجاء المعمورة بسماحته وتشريعاته الربانية العظيمة؛ فتجمع الناس حوله، ودخلوا فيه أفواجاً، وعَلَت كلمةُ الله، ونُكِسَت راية الشرك والطغيان في كثير من الأرض التي دانت بالإسلام وللإسلام.. كل هذا شكّل تراكماتٍ كبيرةً من الحقد والحَنَق في صدور الأعداء على هذا الدين العظيم، ولهذا سعى أعداؤه بخيلهم ورجلهم وسخّروا طاقاتِهم وأفكارَهم الحاقدة للعمل ضد كل ما هو إسلامي.. ولنا في التاريخ عظة وعبرة..

في هذه السطور سيكون الحديث عن إحدى أقدم المحاولات الخبيثة لهدم تعاليم الإسلام ومحو تشريعاته، واستبدالها بأخرى ظالمة غاشمة لا تمت للدين بصلة؛ وهي محاولة لنشر وإقامة دول العقيدة الباطنية في أرجاء العالم الإسلامي.

وقبل الحديث عن هذه العقيدة العجيبة لا بد من الحديث عن مؤسسيها، والذين يقول عنهم الغزالي: «تشاوَر جماعة من المجوس والمزدكية(١)، وشرذمة من الثنوية الملحدين(٢)، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين، وضربوا سهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نالهم من استيلاء أهل الدين، وينفِّس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين، حتى أخرسوا ألسنتهم عن النطق بما هو معتقدهم من إنكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد الحشر والنشر والمعاد إلى الله في آخر الأمر»(٣).. ولنا أن نتخيل ماهية العقيدة الناتجة عن تشاوُر واجتماع أمثال هؤلاء.

وكان من أبرز مؤسسي الدعوة الباطنية الإسماعيلية رجلٌ يُدعى ميمون القداح، وابنه عبد الله أو عبيد الله. وسنتعرف على بدايات تأسيس هذه الدعوة..

من هو ميمون القداح؟

جاء ذكره في بعض الكتب التاريخية؛ ومن أبرزها كتاب (كشف أسرار الباطنية) للحمادي اليماني(٤):

أن ميمون القداح يهودي، من يهود مدينة بالشام يقال لها «سَلمية»(٥)، وقد كان يعتقد اليهودية ويُظهر الإسلام وكان من أحبار اليهود ومن أهل الفلسفة، وكان يتردد على جعفر الصادق ويدّعي أنه من شيعته.. وقد كان حريصاً على هدم الشريعة المحمدية؛ لمِا ركّب الله في اليهود من عداوة الإسلام وأهله، فلم

(*) باحث يمني.

(١) المزدكية: ديانة فارسية قديمة، أسسها الداعية الفارسي (مزدك) وإليه نسبت. = تقول هذه الديانة بمبدأين: الخير والشر، والنور والظلام..

(٢) الثنوية: مذهب قديم، كان أصحابه يعتقدون أن للعالم أصلين هما: النور والظلمة.

(٣) كتاب فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي.

(٤) هذا الكتاب هو المرجع الأساسي في هذه المقالة، حيث إن صاحبه كان ممن يعتقدون الباطنية وقد خبرهم وعايشهم، وهو من الكتب القليلة التي تحدثت عن نشأة الباطنية ومعتقداتها.

(٥) تقع شمال شرق حماة.

يرَ وجهاً يدخل به على الناس حتى يردهم عن الإسلام ألطف من التظاهر بحب آل بيت رسول الله ﷺ.

وقد ظهر أيام قرمط البقار[١].. وقد اجتمعا وعملا ناموساً[٢] يدعوان إليه، وقد كانت أول مراسلة بينهما سنة إحدى وستين ومائة للهجرة (١٦١هـ)[٣].

وقيل إن ميمون القداح هو من نسل ديصان الثنوي، ويكنّى بأبي شاكر في بعض الكتب[٤]، الذي تنسب إليه الثنوية، وأنه فارسي مجوسي من الأهواز، تظاهر بالإسلام والتشيع والدعوة لآل البيت، فقُبض عليه وأودع سجن الكوفة في أواخر عهد المنصور، وبعد خروجه من السجن ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

وقال عنه ابن الأثير: «أبو شاكر ميمون بن ديصان، صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة»[٥].. وقال عن عقيدة ميمون وأصحابه: «ألقوا إلى من وثقوا به أنّ لكلّ شيء من العبادات باطناً، وأنّ الله تعالى لم يوجب على أوليائه، ومن عرف الأئمّة والأبواب، صلاة، ولا زكاة، ولا غير ذلك، ولا حرّم عليهم شيئاً، وأباحوا لهم نكاح الأمّهات والأخوات، وإنّما هذه قيود للعامّة ساقطة عن الخاصّة، وكانوا يظهرون التشيّع لآل النبيّ، ﷺ، ليستروا أمرهم، ويستميلوا العامّة، وتفرّق أصحابهم في البلاد، وأظهروا الزهد والعبادة، يغرون الناس بذلك وهم على خلافه»[٦].

وسمي بالقداح لأنه كان يعالج العيون ويقدحها[٧].

و«العبيديون» هم من نسل ميمون القداح، وتسموا بالعبيديين نسبة إلى ابنه عبيدالله، والذين قامت لهم دولة في بلاد مصر والمغرب.

البدء في تنفيذ المخطط الباطني..

خرج ميمون وابنه إلى الكوفة، بعد أن ادعى زوراً وبهتاناً أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق[٨]، مع أن إسماعيل بن جعفر مات صغيراً ولم يتزوج!!

وأقاما بالكوفة مدة يدعوان فيها إلى معتقدهما، حتى استجاب لهم تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، أرسلهم ميمون يبشرون بدعوته إلى عدة أقطار من الدولة الإسلامية، يدعون تحت لواء ابنه عبيدالله الذي ظل ماكثاً عند أبيه في الكوفة، والذي ادعى المهدية فيما بعد..

أما أبرز الذين انخدعوا بدعوتهما فهم: علي بن الفضل الجدني اليماني، وأبو القاسم الحسن بن حوشب المُسمى بالمنصور، وهذان قاما بمهمة نشر الفكر الباطني الإسماعيلي في بلاد اليمن، وأبو سعيد الجنابي صاحب الأحساء والبحرين، وأبو عبد الله الشيعي الذي أُرسل إلى بلاد المغرب، والمُقنّع عطاء الخراساني فيما وراء النهر من خراسان.. وغيرهم[٩]..

ولكل واحد من هؤلاء تاريخ أسود منفصل عن الآخر، لكن ما يجمعهم هو الدعوة إلى الضلالة والجهالة، وتحليل المُحرّمات، وانتهاك الحُرُمات، بل إن منهم من ادّعى الألوهية، وقاموا بارتكاب أشنع الجرائم في حق المسلمين؛ ومن ذلك: قتل حُجّاج البيت العتيق، وسرقة حجر الكعبة الأسود، واستباحة بيت الله الحرام، وقتل النساء والأطفال، وتحليل نكاح الأب لابنته، والرجل لأخته وأمه، وشرب الخمر.. وغيرها من الجرائم النكراء

(١) وهو أحد المؤسسين لعقيدة الباطنية واشتهر أتباعه بالقرامطة.

(٢) الناموس: السر المكتوم الذي لا يظهر إلا لخلصان الرجل.

(٣) انظر «كشف أسرار الباطنية للحمادي».

(٤) انظر «تاريخ إفريقية والغرب» لابن باديس.

(٥) انظر (الكامل) لابن الأثير.

(٦) المرجع السابق.

(٧) انظر (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء. ويرى أبو الفداء وغيره من المؤرخين أن (القداح) لقب يطلق على عبدالله بن ميمون، وهو غير عبيدالله.

(٨) وقد ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية، وغيره من العلماء والمؤرخين أمثال: الخطيب البغدادي والذهبي، ونفوا انتساب هذين الرجلين إلى شجرة أهل البيت..

(٩) انظر كتاب كشف أسرار الباطنية للحمادي، بتحقيق الأكوع. وسيتم الحديث عن لمحات من تاريخ كل شخصية في مقالات قادمة إن شاء الله.

التي لطخوا بها صفحات تاريخهم المخزي، والتي تتماشى مع معتقدهم الباطني الفاسد..

وبهؤلاء النفر قامت للباطنية دول في أقطار مختلفة منها: دولتهم في اليمن والتي سرعان ما انتهت في بدايتها وتحولت إلى السرية حتى قامت لهم الدولة الصليحية بعد فترة من الزمان، وفي البحرين، وقد تزعمها أبو سعيد الجنابي والذي نسب الملك إلى نفسه وخلَعَ عبيد الله بن ميمون، وفي بلاد المغرب العربي وهي الدولة الفاطمية وأبرز دولهم والتي تداولها ملوك من نسل ميمون القداح..

وفي الحقيقة فقد اختلف أهل التاريخ في تحديد نشأة الباطنية تحديداً دقيقاً؛ وذلك لأسباب من أهمها: الغموض الذي كان يكتنف أصحاب هذه العقيدة، وذلك أنهم كانوا يعملون في تنظيمات سرية، ولا يظهرون إلا بعد أن تتوفر لهم العوامل المناسبة للظهور، ومن الأسباب أيضاً أنهم لجؤوا إلى استخدام التقية كوسيلة تغطي قبائح معتقداتهم، كما أن أصحاب الباطنية أنفسهم اختلفوا في تحديد تاريخ معين لنشأة فكرهم المنحرف.

معتقدات فاسدة..

وقد تستّر دعاة هذه العقيدة بعدة أقنعة حتى يصلوا إلى ما يريدون، ومنها: التظاهر بالإسلام وحب آل البيت والانتصاف لهم، وقاموا بتأويل النصوص تأويلات تتنافى مع ما يقرره الإسلام، وإظهار التشيع، إذ أنهم وجدوا من دعوى حب أهل البيت والنياحة على مظلوميتهم مدخلاً مناسباً لتمرير أفكارهم إلى عقول الناس.

كما إن أبرز ما يميز عقيدتهم: دعواهم بأن النصوص لها ظاهر وباطن، والظاهر قشور والباطن لبّ، والعاقل يأخذ اللبّ ويترك القشور. وبهذا حرّفوا الدين أيّما تحريف، وعطّلوا كافة أحكامه وتشريعاته.

هذا بالإضافة إلى المعتقدات الأخرى الفاسدة مثل: إنكار صفات الله وقولهم: إن الله موجود وغير موجود، فلا يوصف بشيء مطلقاً، وأن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ناسخ لشريعة الإسلام، وأن القرآن والوحي عامة فيض يفيض من العقل الكلي على كل شخص لديه استعداد لتقبله، كما أنهم ينكرون البعث والقيامة ويؤمنون بالتناسخ، والاعتقاد بتأثير بعض الكواكب على الكون.

كما إن أصحاب هذه العقيدة يتميزون بالإباحية والشيوعية الجنسية والمالية، والإمام هو الذي يحكم في كل ذلك[1].

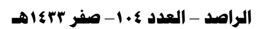
وبهذه العقائد والأفكار والتصورات انطلقوا في مختلف الأقطار الإسلامية، يدّعون الدين والزهد، ويتغطون بغطاء الورع والتقوى، حتى تمّ لهم ما أرادوا من جمع للأموال وتجنيد للرجال، فأماطوا اللثام عن كل القبائح والآثام، ودعوا إلى كل الرذائل في جهرة من نهار، دون إخفاء أو إسرار..

ولكن الله غالب على أمره ولو كره المبطلون..

فوائد مما سبق:

- أهل الباطل في كل زمان ومكان لا ينطلقون إلا وِفق أجندة معينة ومحددة يدعون إليها وينافحون من أجلها..
- إن ما تفعله بعض الدول المعاصرة، والتي تمضي على خُطى «ابن سبأ» وأخيه في دين اليهودية «ميمون القداح»، والتي تفرّخ رؤوساً جُهّالاً، يُملون عليهم أساطيرهم وإفكهم، ومن ثَمَّ يرسلونهم إلى بلدان الإسلام ليبشِّروا بما أُمليَ عليهم، ويدعون إلى راية جاهلية؛ هو شبيه بما فعله دعاة ميمون .. فما أشبه اليوم بالبارحة.
- لا غرابة إن وجدنا في هذه الأزمان من يتخذ من حب آل البيت الأطهار وادعاء مظلوميتهم تبريراً لقتل وكراهية المسلمين، فإن فعلهم هذا ما هو إلا استمرار لمخطط العقول اليهودية الحاقدة التي أسست هذه الأفكار وروّجت لها.

(١) انظر «أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية» لسفر الحوالي.





فتنة العوا

أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

د. محمد سليم العوا من الشخصيات ذات الحضور البارز على الساحة الإسلامية، سواء من خلال كتبه العديدة مثل: في النظام السياسي للدولة الإسلامية، في أصول النظام الجنائي الإسلامي، أزمة المؤسسة الدينية في مصر، الفقه الإسلامي في طريق التجديد، الإسلاميون والمرأة، للدين والوطن: فصول في علاقة المسلمين بغير المسلمين، دور المقاصد في التشريعات المعاصرة، العلاقة بين السنة والشيعة، الإسلام والعصر، وكتب أخرى بالعربية والإنجليزية.

أو من خلال الأدوار التي يقوم بها، أو المناصب التي يتولاها أو تولاها سابقا، مثل: الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي .منظمة المؤتمر الإسلامي، عضو عامل في أكاديمية مؤسسة آل البيت الملكيّة للفكر الإسلامي، الأردن، رئيس جمعية مصر للثقافة والحوار، عضو المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بإيران، عضو مؤسس في الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي، وعضو لجنته الإدارية، وغيرها.

أو من خلال دوره السياسي الجديد كمرشح لمنصب رئاسة الجمهورية المصرية وعضو المجلس الاستشاري.

ورجل كالعوا مكثر في الكتابة والمشاركة ومحاولة التلفيق بين الواقع والإسلام سيكون ذلك مدعاة لأن يقع في أخطاء وخطايا كثيرة، ولذلك قام بعض الفضلاء بالتنبيه على مزالقه وأوهامه في العديد من القضايا المفصلية[1].

ومن أهم القضايا التي تؤخذ على العوا تأييده المطلق لموضوع التقريب بين السنة والشيعة، والذي بلغ به أن يهاجم الشيخ يوسف القرضاوي، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، حين أعلن في سنة ٢٠٠٦، عدم جدوى دعوى التقريب ، فقام العوا برفض موقف القرضاوى وتخطئته في ذلك علناً، ومحاولة استخدام منصبه كأمين عام للاتحاد في مهاجمة القرضاوي رئيس الاتحاد!!

وفي أعقاب تصريحات القرضاوي المحذرة من

(*) كاتب أردني.

(١) راجع:

* نظرات شرعية في فكر منحرف، الجزء السادس، للشيخ سليمان الخراشي.
* العصريون معتزلة اليوم، يوسف كمال.
* الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، د. مفرح القوسي.
* حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والشرع الإسلامي، د. محمد مفتي، ود. سامي الوكيل.

خطر التبشير الشيعي في مصر خاصة وأفريقيا عامة، قام العوا بإلقاء محاضرة في نقابة الصحفيين المصريين في ٦/ ٩/ ٢٠٠٦، تم تفريغها وطبعها باسم «العلاقة بين الشيعة والسنة» عن دار سفير بالقاهرة، قرر فيها النقاط التالية، بحسب ما جاء في موقع «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين»:

١- إن أكثر أهل السنة لا يعرفون عن الشيعة سوى أنهم طائفة تغالي في التشيع مع أن الشيعة يعرفون عن السنة الكثير.

٢-أنه عندما يُنسب إلى الناس أقوال أو نريد أن نحاسبهم على آراء فيجب أن نحاسبهم على ما قالوه فقط، دون التطرق إلى النتائج المترتبة على أقوالهم، لأن القاعدة المسلمة أن «ناسب المنهج ليس بمنهج» أي أنني لست المسئول عن كلام قلته وفهمه الناس بأسلوب وشكل خاص بهم.

٣- أن التشيع هو مذهب فقهي كسائر المذاهب السنية الأخرى.

٤-وبالرغم من أن هناك مقولات تزعم أن الشيعة يؤمنون بتحريف القرآن ونسب إلى أحد كتب الشيعة ذلك إلا أنه يجب أن نعلم أن هذه المقولة حادثة كما أنها منكرة.

٥-منذ ١٠٧ أعوام تقريبا، كتب المحدث النوري الطبرسي كتابا بعنوان «فصل الخطاب في تحريف الكتاب» وجمع فيه روايات من كتب الشيعة، وأشار إلى أن تلك الروايات تدل علي تحريف القران. وقبل النوري لم يقل أحد بتحريف القرآن على الإطلاق.

٦-وقال أن هذا الكتاب قوبل بانتقادات شديدة من قبل الحوزة العلمية وضجرت بآرائه ولم يقبل الشيعة منذ ذلك الوقت بأن يقال أنه تم تحريف القرآن. وتم التشكيك في كتابه والإشارة إلى أن الروايات التي جمعها مجهولة وضعيفة الرواية وهو ما أكده الخميني الذي اتهم رواياته بالضعف وأنها محشوة بالكثير من الحكايات الهزلية الضعيفة.

٧-قال العوا أيضاً إن الاتفاق بين السنة والشيعة يصل إلى نحو ٩٠ ٪ والاختلاف في ١٠ ٪ وذلك يعتبر نسبة بسيطة، خاصة وأنها في التفاصيل وليست في الأصول.

٨-نشأت فرقة سياسية أدت إلى توسيع الفجوة بين المسلمين والشيعة بسبب الأحداث السياسية بعد اندلاع الثورة الإيرانية.

أما أوجه الاختلاف بين السنة والشيعة فيوجزها الدكتور العوا في عدة أمور أهمها ما سمي بـ «عصمة الأئمة» وهو الاعتقاد الشائع لدى الشيعة الإمامية ونحن لا نقبل هذا الاعتقاد لأنه لا عصمة بعد رسول الله، ويؤكد الدكتور العوا أنه وبالرغم من هذا الاختلاف إلا أن مسألة الإمامة هي من الفروع، ولا ينبغي أن نقحمها في الأصول» .أ. هـ

وهذه الأفكار هي ما دندن عليه العوا طيلة السنوات التالية لهذه المحاضرة في عدة مقالات وتصريحات ومواقف ومقابلات تلفزيونية مع الشيخ وجدي غزاوي على قناة الفجر وآخرها كان مع الشيخ خالد عبدالله على قناة الناس في ١/ ١٢/ ٢٠١١.

وسأركز النقاش هنا على ثلاث نقاط:

١- مدى جهل أهل السنة بمذهب الشيعة.

٢- الشيعة وتحريف القرآن.

٣- الشيعة وتكفير الصحابة.

وقبل أن نبدأ النقاش لا بد أن نتذكر أن العوا محامٍ

مـن الطـراز الرفيـع[1] ولـذلك هـو يـمارس ألاعيـب المحـامين كثـيراً في عـرض قناعاتـه وآرائـه والتـي قـد يتوهمهـا بعـض البـسطاء حقـائق ومـسلمات نابعـة مـن الخلفيـة العلميـة والشرعية للعوا!!

١ - مدى جهل أهل السنة بمذهب الشيعة:

يقـول العـوا في كتابـه ص٧: «وممـا يؤسـف لـه أن معرفـة كـل مـن الطـائفتين.. ليست ممـا يحقـق التعـارف المـأمور بـه في القـرآن الكـريم، وهـذا الأمـر أظهـر عنـد علـماء الـسنة وعـامتهم منـه عنـد علـماء الـشيعة وعـامتهم. يقـول الأسـتاذ الـدكتور أحمـد كـمال أبـو المجـد في دراسـة ماتعـة لـه عـن الحـوار بـين الـسنة والـشيعة: «إن الـشيعة يعرفـون عـن عقائـد أهـل الـسنة والجماعـة مـا لا يعرفـه أكثـر أهـل الـسنة عـن عقائـد الـشيعة ومـذهبهم وآراء علمائهـم وعـامتهم.. لا يكـاد أكثـر المثقفـين غـير المتخصـصين مـن أهـل الـسنة يعرفـون عـن الـشيعة إلا أنهـم طائفـة أسرفـت في التـشيع لعـلي بـن أبـى طالـب – رضي الله عنـه- وتـرى أنـه كـان أولى بالخلافـة مـن أبـى بكـر وعمـر.. وأنهـم، فـوق ذلـك، أصـحاب بـدع يخـالفون بهـا مـذهب أهـل الـسنة ويخـرج بهـا المتطرفـون مـنهم عـن دائـرة الإسـلام الصحيح».

والقـارئ لفتـاوى بعـض علـماء الـسنة المعـاصرين يجـدهم لا يزالـون يقولـون في الـشيعة الإماميـة أقـوالاً لا تثبـت عـلى البحـث العلمـي، ولا يقـوم عليهـا مـن كتـب أئمـة الـشيعة وعلمائهم دليل صحيح» أ.هـ كلام العوا.

والملفـت في تقريـر العـوا زعمـه أن علـماء الـسنة وعـوامهم أقـل معرفـة بالـشيعة مـن معرفـة علـماء الـشيعة وعـوامهم بالـسنة وهـو كـلام عـام لا يحـدد زمانـاً أو مكانـاً!! كـما أنـه يـسوقه عـلى أنـه حقيقـة علميـة ثبتـت بـأدوات بحثيـة رصـينة!! وهـذا نمـوذج لاستخدام أدوات المحامي في مقام البحث العلمي!!

وإلا فـما هـو موقـف العـوا مـن كتـب الفـرق والنِّحـل التـي قـام بهـا علـماء الـسنة عـبر التـاريخ؟ فهـل هـو يجهلهـا أم لا يعترف بها؟

ثانيـاً: إذا كـان العـوا وأبـو المجـد يعترفـان بقـصورهما في هذا الباب فعلى أي أساس عمما الحكم؟

قـد يـصح القـول أن كثـير مـن العلـماء المـصريين مـن غـير الـسلفيين قليلـو البـضاعة في معرفـة العقائـد الـشيعية وغـير الـشيعية لعـدم اهـتمامهم بهـذا البـاب، وبـسبب عـدم وجـود تحـدٍّ شـيعي مبـاشر لهـم، لكننـا نجـد أن علـماء الأحنـاف وعـوامهم في الهنـد وباكـستان مـثلا عـلى اطـلاع عميـق جـداً بالتـشيع، بـل إن الـصراع بـين الأحنـاف والـشيعة في باكـستان يصل – للأسف- لحد تفجير المساجد الشيعية والسنية!!

ولـذلك فـإن كنـت يـا عـوا ويـا أبـا المجـد مـن الجهلـة بالتـشيع فـلا تعمـما جهلكـما عـلى أهـل الـسنة، وإن كنـتُ مقتنـع تمامـاً أن العـوا لا يجهـل حقيقـة التـشيع بقـدر مـا يـسعى لنـشر الجهـل بالتـشيع لأغـراض أرجـو أن لا تكـون خسيـسة كالأموال والعلاقات وما شابه.

أمـا عـلى الجانـب الآخـر فـما هـي علامـات معرفـة الـشيعة بمنهج أهل السنة عند العوا؟

لقـد فـضحت المنـاظرات العلنيـة عـلى القنـوات الفـضائية (المـستقلة، صـفا) علـماء الـشيعة فقـد أثبتـوا جهلهـم بمـذهبهم ومـذهب أهـل الـسنة، ولـذلك أفتـوا بحرمـة مـشاهدة تلـك المناظرات بل والقنوات كلها!!

وفي تلـك المنـاظرات كـان المنـاظرون الـسنة يحتجـون عـلى علـماء الـشيعة بكتـبهم التـي يتـداولونها، فـأين الجهـل بالتـشيع يـا عـوا؟ إذاً المقـصود هـو إبطـال كـل الجهـود الـسنية

(١) لقد قام العوا بالدفاع عن خلية حزب الله في مصر، وسرت شائعات أن حزب الله دفع له عدة ملايين على ذلك!! وكان المحامي منتصر الزيات قد سبقه بالترافع عن هذه الخلية.

في التحذير من خطر التشيع بكذبة عامة هي أن هذه الجهود يقوم بها جهلة!! وهذا خبث كبير وخطة ماكرة.

٢- الشيعة وتحريف القرآن:

يقول العوا في كتابه ص ٢٢: «كثيراً من علماء أهل السنة، وعامتهم يعتقدون اعتقاداً شبه جازم أن الشيعة الإمامية يعتقدون أن القرآن محرف بالنقص منه. ويستند هذا الاعتقاد إلى أمرين: أولهما: تأليف أحد علماء الشيعة المتأخرين كتاباً ذهب فيه إلى تحريف القرآن وسماه: باسم (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)[1].

ثانيهما: ما ورد من إشارات في بعض كتب الشيعة المعتمدة عن وجود كتاب يسمونه (مصحف فاطمة) تقول هذه الروايات: «إنه ليس في القرآن منه حرف وإنه يبلغ ثلاثة أمثال القرآن». والرواية في «الكافي» عن أبي عبدالله جعفر الصادق: «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم! قال: إنه لعلم وما هو بذاك»[2]». إ.هـ كلام العوا.

ثم أخذ العوا بعد ذلك يفند تهمة تحريف القرآن عن الشيعة من خلال النقاط التالية:

- منذ صدر كتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) والحوزة العلمية الشيعية تقف ضده، وأورد عدة نقول ضد الكتاب تدور على أن الروايات التي جمعها النوري ضعيفة الأسانيد، والجدير بالملاحظة خلوها من البراءة من التحريف أو البراءة من زاعم وقوع التحريف، بل نجد العوا ينقل عن الخميني ص ٢٦، قوله عن النوري: «وهو رحمه الله شخص صالح»!!.

- ليدافع العوا عن تحريف القرآن عند الشيعة زعم أن في كتب الشيعة والسنة نصوصاً توهم أن بعض العبارات التي كان أصحاب النبي ﷺ يظنونها من القرآن الكريم لم تثبت في النص المتفق على صحته للقرآن، وأن أهل السنة حكموا على ما صح من تلك الروايات بأنها شاذة أو منسوخة حكماً وتلاوة أو تلاوة فقط، ولم يورد أمثلة على ذلك. أما علماء الشيعة فقد اعتبروها من التفسير الذي علمه جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، وأورد رواية من الكافي «ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد، فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدوش».

- أن مصحف فاطمة هو تفسير.

- أن صادق العلائي وهو من علماء الشيعة في كتابه (إعلام الخلف بمن قال بتحريف القرآن من أعلام السّلف) نقل عن ٢٧ إماماً شيعياً أن القرآن كامل لم يحرف.

- أن المصحف المتداول في إيران مثل المصحف الذي في أيدى السنة.

ولنبدأ في مناقشة رؤية العوا في تبرئة الشيعة من قولهم بتحريف القرآن:

* أول نقطة يجب الانتباه لها زعم العوا أن مستند أهل السنة في تقرير أن الشيعة يؤمنون بتحريف القرآن هو كتاب تافه لشيعي ظهر متأخراً حيث توفي قبل ١١٠ سنوات!!

وهذا نوع من التدليس والدهلسة المكثفة لا يتقنها إلا محامٍ عريق في قاعات المحاكم خاصة مع انتشار فكرة أن المحامي وظيفته تبرئة موكله لا محاكمته!! وإلا فكيف

---

(١) هو المحدث حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، الشهير بالمحدث النوري، المتوفى سنة ١٣٢٠هـ. (الهامش من كتاب العوا).

(٢) الكافي، دار الكتب الإسلامية، بيروت، د.ن، ج١ ص٢٣٩ ح١. (الهامش من كتاب العوا).

يفسر لنا العوا أن علماء الإسلام قد صرحوا باعتقاد تحريف القرآن عند الشيعة قبل كتاب فصل الخطاب بمئات السنين، مثل الإمام أبي منصور، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت ٤٢٩هـ) الذي قال: « وأكفروا – أي أهل السنة – من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم في القرآن والسنة لدعواه أن الصحابة غيروا بعض القرآن وحرفوا بعضه»، والإمام ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) الذي لم يعتبر الروافض من المسلمين في رده على احتجاج النصارى على تحريف القرآن بدعوى الروافض تحريف القرآن. هل نجد لذلك جوابا عند العوا؟ وهل أمثال هؤلاء الأئمة يلقون الكلام على عواهنه دون برهان؟

* النقطة الثانية: على فرض أن النوري صاحب كتاب فصل الخطاب لا يمثل الشيعة وعقيدتهم، هل يمكن أن يدلنا العوا على موقف الشيعة ممن صنف كتاباً لإثبات تحريف القرآن وهل قاموا بتكفيره، كما فعل هو ذلك، في لقائه مع خالد عبد الله بتكفير من يقول بتحريف القرآن وأن هذا رأي السنة والشيعة في أن من ينكر صحة وكمال هذا القرآن الذي بين أيدينا؟ وما حكم من يبجل ويحترم النوري ولا يكفره رغم معرفته برأيه بتحريف القرآن، هل هذا مقبول شرعاً أم أنه يصبح شريكه في الجريمة والكفر؟ ولماذ أُكرم هذا النوري من قبل الشيعة فدفنوه بجوار قبر علي بن أبي طالب؟

* كتاب فصل الخطاب هل هو أكاذيب اخترعها النوري أم هو قام بجمع الروايات الشيعية في الكتب المعتمدة عندهم؟ أما الزعم بأن هذه روايات ضعيفة لا تصح، فمتى كان الشيعة يعتمدون الروايات الصحيحة في مذهبهم ؟ وإلا فهل يمكن للشيعة أن يدلونا على كتاب لهم جمع الروايات الصحيحة فقط والتي عليها يقيمون مذهبهم؟؟

الشيعة يعترفون بأن مذهبهم لا يبقى له وجود إذا اعتمدوا صحة الأسانيد، قال الحر العاملي: (رئيس الطائفة – أي الشيخ الطوسي – في كتاب (الأخبار) وغيره من علمائنا إلى وقت حدوث الاصطلاح الجديد بل بعده كثيراً ما يطرحون الأحاديث الصحيحة عند المتأخرين ويعملون بأحاديث ضعيفة على اصطلاحهم، فلولا ما ذكرناه لما صدر ذلك منهم عادة، وكثيراً ما يعتمدون على طرق ضعيفة مع تمكنهم من طرق أخرى صحيحة كما صرح به صاحب المنتقى وغيره، وذلك ظاهر في صحة تلك الأحاديث بوجوه أخر من غير اعتبار الأسانيد، ودالٌّ على خلاف الاصطلاح الجديد لما يأتي تحقيقه)، (وسائل الشيعة، ٢٠/ ٩٩).

إن الاحتجاج بأن هذه روايات ضعيفة حجة ساقطة لأنهم يعتمدون على الروايات بغض النظر عن صحتها، وذلك نابع بالأساس من أن غالب رجال الشيعة الذين يروون الأسانيد هم مجاهيل كما صرح بذلك الخوئي في معجم رجال الشيعة.

* الروايات التي جمعها النوري جمعها من الأصول المعتمدة عند الشيعة، فإن كانت الأصول الشيعية تتبنى الكفر فلماذا لا يتبرأ الشيعة منها إن كانوا صادقين؟

* نقل النوري إجماع الشيعة على التحريف إلا أربعة، فلماذا لا نجد من ينكر إجماع الشيعة على ذلك من المتقدمين؟ أم أن العوا أعلم من الشيعة بمذهبهم؟

* اعترف العوا في مقابلته مع قناة الناس أنه يعلم أن الشيعة يؤمنون ويمارسون التقية وهي إظهار خلاف ما يؤمنون به، ولكنه أصر على أنه ينفي تحريف القرآن عن الشيعة كلهم من خلال من قابلهم من علماء الشيعة المعاصرين، فكيف يقبل هذا المحامى العريق أن ينفي بعض المعاصرين عن مذهب عمره أكثر من ١٣ قرنا، وله

مؤلفاته المشهورة مسلماته؟ ولماذا لا يكون ما ذكروه تقية؟! ونقول للعوا إن هذا تلاعب معيب منك.

* من نصدق: العوا المتلاعب والمتعاطف مع الشيعة والمتهم بوجود مصالح مادية له مع الشيعة وإيران، أم ما يقوله علماء الشيعة ودعاتهم صبح مساء بالصوت والصورة على الفضائيات، ولذلك حين سأله خالد عبدالله عمّا تذيعه الفضائيات الشيعية قال العوا: «دي حاجة تاني»، وتجاوز الموضوع ولم يتابعه المقدم الشيخ خالد عبدالله وعلى غير عادته فقد كان في قمة التساهل مع العوا هذه المرة رغم أنه في مرات سابقة ناقش فيها فتنة العوا بالشيعة كان أكثر نضجاً ووعياً!!

إذا كان الشيعة يرفضون تحريف القرآن ويكفّرون من يعتقده فلماذا تطفح قنواتهم بمن يقرأ الآيات المحرفة زيادةً ونقصاً وهي قنوات تتبع للمرجعيات ولا نجد نكيراً أو تكفيراً لمن يقوم بذلك؟؟ أليست الأفعال المعلنة أقوى دواعي الإثبات أيها المحامي؟؟

* اعتقاد الشيعة بتحريف القرآن قضية ثابتة بمئات الأدلة والشواهد قديما وحديثاً، وكون من قابلهم العوا لم يصرحوا له لا يصلح لتبرئة الشيعة خاصة مع رجل يعلم أنهم يبطنون ما لا يعلنون، وكون الشيعة يطبعون نصف المصحف الذي عندنا هذه حجة متهافتة، لأن الشيعة لا يهتمون بالقرآن أصلاً فليس هو ضمن مناهج الحوزات الشيعية ولا مراجعهم الكبار يحسنون قراءته فضلاً عن حفظه وعامتهم قد تموت ولم تمسك مصحفاً، ورغم جمال أصوات منشدي الشيعة في لطمياتهم، إلاّ أننا لا نجد منهم قارئاً معروفاً للقرآن، وقنواتهم لا تهتم ببث تلاوة القرآن ضمن برامجها.

* من تلاعب العوا الذي يكشف عن سوء في النية أو سذاجة لدرجة البله أنه يستشهد بكتاب «إعلام الخَلف بمن قال بتحريف القرآن من أعلام السّلف» لأبي عمر صادق العلائي، على أن الشيعة تبرؤوا من كتاب فصل الخطاب، والعلائي شيعي متطرف ألف كتابه هذا لإثبات فرية اعتقاد أهل السنة بتحريف القرآن!!

حيث يقول في ختام بدايته ص ١٣٣: «هل انفرد الشيعة الإمامية بوجود بضع نفر قالوا بتحريف القرآن؟ ولكي نجيب على هذا السؤال وتتضح الحقيقة، آثرنا أن نعقد الأبحاث الآتية التي نخلص منها إلى أن الأحرى والأجدر هو نسبة التحريف لمذهب أهل السنة بمبانيهم ورواياتهم التي اعتمدوها وتبنوها وساروا عليها».

والغريب أن العوا يضع في هامش كتابه رابط كتاب العلائي على شبكة الإنترنت، فلماذا؟ فهل هو لم يقرأه وإنما مررت له المعلومة؟ أم أنه طالع الكتاب وأغمض عينيه ؟؟

ولا يحتاج القارىء مزيد تفكر حتى يعرف المؤلف ومنهجه بل يكفيه أن يطالع الفهرس ليجد العناوين التالية:

- تحريف القرآن الصريح عند أهل السنة!!
- أعلام أهل السنة قالوا بتحريف القرآن!!
- اعترافات علماء أهل السنة بأن أكابر الصحابة والتابعين من كان يدين الله بتحريف القرآن!!

والأعجب من هذا أن العلائي يثبت أن بعض الشيعة قالوا بالتحريف لكنه يعود ليزعم أن تكفير القائل بالتحريف لا يصح، لأنه ليس معلوماً من الدين بالضرورة!! بل هناك شبهات قوية قامت على القول بالتحريف!! هذا هو العلائي الذي يستشهد به العوا!!

ويبقى السؤال المهم الآن: إذا كان العوا يقبل نقولات العلائي في تبرئة الشيعة من تحريف القرآن فهل يقبل نقولاته المزعومة في تحريف أهل السنة للقرآن؟؟ وإذا لم يقبل فبأي حجة تقبل البعض وترفض الآخر؟؟ إما أن

يـصدق في الجهتـين وتقـع في مـصيبة القـول بتحريـف أهـل الـسنة للقـرآن أو تكذبـه في الجهتـين فلزمـك الاعـتراف بتحريف الشيعة للقرآن؟ ونتتظر جوابك.

* العلـة في العـوا أنـه يحـاول نـزع الموضـوع مـن مناقـشة مـذهب لـه أعلامـه وكتبـه القديمـة والمعـاصرة، ليحـصر القـضية أنـه لم يـسمع ممـن جلـس معهـم القـول بـالتحريف، رغـم علمـه أنهـم يتـدينون بالتقيـة ورغـم علمـه أنهـم يبجلـون الكتـب التـي تنقـل روايـات التحريـف وتجعلـه مـن أصـول مـذهبهم وتبجـل أصـحابها، ورغـم علمـه بوجـود مئـات المقـاطع المـصورة لـدعاة الـشيعة وهـم يقـرون بـالتحريف عـبر قـراءة آيـات محرفـة، ورغـم علمـه أن جميـع ذلـك يجـري بـرضى وموافقـة المراجـع المعـاصرين الـذين يـزعم هـو أنهـم لا يوافقـون في حـين أنهـم يـدعمون هـذه الفـضائيات والمؤسـسات والشخـصيات التـي تـصرح بـالتحريف، فهـل هـذا يـنطلي عـلى محـامٍ ومحُكـم دولي؟؟ ألـيس وراء الأكمـة ما وراءها!!

٣- الشيعة وتكفير الصحابة:

يـزعم العـوا في كتابـه أن «سـب الـصحابة عـن الـشيعة مسلك ولـيس عقيـدة،.. ولا شـك أن هـذا المـسلك نتيجـة مـن نتـائج التعـصب المـذموم» ص ٤٤، دون أن يقـدم أي برهـان أودليـل عـلى ذلـك، ومـن ثـم يـصدر حكمـه عـلى مـن يـسب الـصحابة بقولـه: «نحـن نخطـئ مـن يـسب الـصحابة.. ونـنسبه إلى سـوء الأدب مـع خـير القـرون.. والـسب أمـر جلـل يـدخل أصـحابه في فـسق التأويـل وإن كانـت الـشبهات التـي تقـوم في ظنهم تبعدهم عن دائرة الكفر» ص ٤٥.

وكـرر ذلـك في مقابلتـه مـع قنـاة الفجـر حيـث زعـم أن علـماء الـشيعة يـصرحون بكتـبهم بـرفض سـب الـصحابة، ونـسأل فمـن أيـن جـاء الـسب عنـد الـشيعة، ولا نريـد أن نناقش العوا بما يقول لأنه قول لا يستحق المناقشة.

واستـشهد العـوا بمحمـد حـسين فـضل الله، ومعلـوم أن هنـاك قطاعـاً مـن الـشيعة يكفـرون فـضل الله لأنـه يقـول أن حادثـة ضرب الفـارق عمـر لفاطمـة فيهـا انتقـاص لعـلي رضي الله عـنهم، ولـذلك الاستـشهاد بـه لا يلـزم الـشيعة المعـاصرين فضلا عن القدماء!!

لكـن العـوا وعـد بإرسـال رسـالة لحـسن نـصر الله حـول موقفـه مـن أم المـؤمنين عائـشة رضي الله عنهـا، ولا نـدري هـل كتـب العـوا هـذه الرسـالة أم لا؟ وأصـبح العـوا الآن مطالبـاً بالإفـصاح هـل أرسـل الرسـالة أم لا؟ فـإن أرسـلها فهـل تلقـى جوابـا؟ ومـا هـو؟ ولمـاذا لم يعلنـه هـو أو حـسن نـصر الله؟ وإن لم يرسل الرسالة فلماذا؟؟؟

وزعـم العـوا أن سـب الـصحابة قـد «بـدأ يتغـير» ولجـأ إلى الاستـشهاد بكـلام للقرضـاوي قـديم في كتابـه (مبـادئ في الحـوار والتقريـب بـين المـذاهب الإسـلامية) والـذي صـدر سـنة ٢٠٠٥، وكأنـه يريـد إرسـال رسـالة غـير مبـاشرة أن القرضاوي متناقض أو متلاعب في موقفه من الشيعة!!

ثـم لجـأ العـوا بـدهاء (خبيـث) إلى الـدفاع عـن مـصيبة شـيعية كـبرى تجـاه تكفـير وسـبّ الـصحابة وهـي مـا أفـرد لـه علامـة الـشيعة الكبـير المجلـسي مـن تخـصيص عـدة مجلـدات مـن كتابـه (بحـار الأنـوار) لروايـات تكفـير وسـب والـصحابة، فماذا صنع العوا؟

زعـم أن محتويـات هـذه المجلـدات سـبٌّ ولـيس تكفـيراً!! وأن الـشيعة اليـوم لا يطبعـون هـذه المجلـدات الثلاثـة حرصـاً منهم على وأد الفتنة!!

ورغـم أن العـوا أشـار إلى أن هـذه المجلـدات المحذوفـة موجـودة في مـصر لـدى المفتـي د.عـلي جمعـة، ومـع هـذا لم يكلف نفسه عناء النظر فيها!!

ولو فعل لوجد نفسه مع الحقيقة في عقيدة الشيعة في تكفير

الصحابة وخاصة الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم، فمن عناوين أبواب هذه المجلدات التي تصرح بالتكفير أكتفي بـ:

- باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم وقبائح آثارهم وفضل التبري منهم ولعنهم.
- باب ما ورد في لعن بني أمية وبني العباس وكفرهم.
- باب ما ورد في جميع الغاصبين والمرتدين مجملاً.

أما بقية الأبواب فهي طعن في دينهم وأمانتهم وسبهم ولعنهم للصحابة الذين شهد الله لهم بالإيمان؟؟

ولذلك نسأل العوا: ما رأيه في المجلسي الذي صنف هذا الكتاب؟ وقد صرح العوا في لقائه على قناتي الفجر والناس بكفر من يكفر الصحابة؟ وما رأي العوا فيمن يعتمد على المجلسي من مراجع الشيعة المعاصرين ولا يتبرأ منه؟؟

وهل يصح لمحامٍ (ذكي) أن يقبل كلاماً مجملاً من أناس يؤمنون بالتقية يزعمون أنهم لا يكفرون الصحابة ثم يعتمدون كتباً وروايات ومؤلفين يكفرون الصحابة؟؟

وهل يقبل من هذا المحامي (الذكي) الذي يود الترشح لرئاسة مصر أن يقبل سكوت مراجع الشيعة المعاصرين على مئات الدعاة والخطباء الذين يظهرون على قنوات ومواقع يملكها المراجع الشيعة والدولة الإيرانية لا همّ لهم إلا تكفير الصحابة، ثم يزعم أن الشيعة المعاصرين لا يكفرون الصحابة؟؟

أين هي البراءة الصحيحة الصريحة (بحكم خبرتك القانونية) من جريمة ياسر الحبيب ومؤيديه، إن كنت صادقاً؟؟

وأخيرا لماذا يتجاهل العوا تقرير صديقه د.محمد عمارة والذي أصدره الأزهر حول كتاب (فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب، ويليه رسالة شهادة الأثر على إيمان قاتل عمر) والذي وزعه الشيعة في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة سنة ٢٠٠٨، ليعرف حقيقة موقف الشيعة من الصحابة؟؟

الخاتمة:

إن موقف العوا القائم على الدفاع المستميت عن الشيعة بطرق ملتوية ومخادعة اعتاد عليها المحامون حين يدافعون عن القضايا الخاسرة، هو أمر معيب وغير مقبول في البحث العلمي ولا يتناسب مع منزلة العوا العلمية، والحقيقة أنني لا أستطيع تقبل أن العوا فعل ذلك عن جهل وأنه جاهل بالتشيع أو تقبل أن الشيعة استطاعوا خداع شخص مثله يشغل منصب نائب رئيس اتحاد علماء المسلمين وعضو مجامع علمية وخبير قانوني كبير!!

وإذا أراد العوا أن يقنعنا بصواب موقفه في تبرئة الشيعة من تحريف القرآن وتكفير الصحابة فعليه تقديم الأدلة الموضوعية الثابتة وهي:

براءة مراجع ومؤسسات الشيعة العلنية الصريحة منها ومن العلماء الذين قالوا بها والكتب التي سطرتها، وإزالة أسمائهم عن الشوارع والمباني العامة، إذ لا يمكن البراءة منهم وبقاء تعظيمهم وتكريمهم بتلك الطريقة، فإن فعلوا ذلك وإلا كانت كل تلك المزاعم نوعا من التقية والخداع الذي يتدينون به ويتعبدون به!!

وتطبيق مقتضى هذه البراءة فعليا في مناهجهم التعليمية والإعلامية بتمجيد الصحابة وإشاعة سيرتهم الزكية.

ولذلك فإن أخشى ما أخشاه من دفاع العوا المريب عن الشيعة اليوم أن يصبح منهجاً له لو وصل سدة السلطة في مصر كونه من المرشحين لرئاسة الدولة، مما يجعل من وصوله لرئاسة مصر يشكل وضعا خطير على توجهات مصر العليا خصوصاً والمنطقة العربية عموماً في ظل علاقته المميزة بالشيعة وإيران من جهة ومن جهة مطامع إيران المعلنة بالتوسع والانتشار.

السؤال المتجدد.. ولاء الشيعة لمن؟

بوزيدي يحيى(*) - خاص بالراصد

من جديد أعادت الأحداث التي شهدتها بلدة العوامية في المملكة العربية السعودية وما يجري في البحرين خاصة بعدما أخذت بعداً أمنيا تمثل في استهداف رجال الأمن وتفجير حافلة قرب السفارة البريطانية في المنامة طرح موضوع حقيقة ولاء الشيعة لأوطانهم، كون ما يجري من اضطرابات يقع في مناطق شيعية وبأيدي شيعية كالخلية الإرهابية التي كشفت في قطر والتي كانت تخطط لاستهداف مراكز حساسة في البحرين وغيرها من الدول الخليجية، والأهم من ذلك كله حضور البصمة الإيرانية دائماً فيما يجري، ما يعني في المحصلة الأخيرة أن المطالب التي تثار من أجلها الاضطرابات غايتها خدمة مصالح نظام ولاية الفقيه في إيران.

ومما يعزز هذا الطرح أكثر هو ذلك التوافق في ردود الفعل من مختلف القوى الشيعية في العالم العربي والتي في الغالب تكون منسجمة مع الموقف الإيراني ولا يتجاوز الخلاف بينها حدود الصياغة الأدبية للموقف للاعتبارات المحلية وليس لجوهره ومضمونه، الأمر الذي اعتبرته بعض الأصوات هجوم وتخوينا غير مقبول ضد مكون وطني أساسي محذرين من جر المنطقة إلى فتنة طائفية تقف وراءها أيادٍ صهيونية، كما اعتبرتها أوساط شيعية تمييزاً لهم عن غيرهم ومعاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية متسائلين عن أسباب عدم اتهام العملاء من السنة بنفس الأسلوب ناهيك عن أن التطرف موجود في الجانبين وليس حكرا عليهم بل وفي كل الأديان والأيديولوجيات.

القضية عامة

توصف الأديان بأنها عابرة للقوميات نظرا للعلاقة القوية التي تربط المنتمي لأي دين بمن يشاركونه نفس المعتقد حتى من بلدان أخرى ولا يقتصر الأمر على السنة والشيعة بل يتجاوزه لكل الأديان، والأمثلة في هذا الإطار لا تحصى ولعل أبرزها التيار التكفيري المتأثر بأسامة بن لادن وأيمن الظواهري وغيرهم من رموز هذا التيار الذي ضم بين صفوفه شبابا من دول مختلفة وظهرت تنظيمات محلية لا تربطها أي علاقة مباشرة بتنظيم القاعدة الأم، قامت بالعديد من الأعمال الإرهابية ضد مصالح بلادها ومواطنيها، لذا فإن الفرد عندما يخير بين دينه ووطنه لاشك أنه سيميل إلى الأول وهذا أمر طبيعي، ومحاولة نفي بعض الرموز الشيعية أو المتشيعة هذه الحقائق قفز عليها ولا يقدم حلولاً جذرية للمشكلة وعليهم بدل ذلك القيام بمراجعات فقهية شاملة لأن المسألة تتعلق بنظرة الدين للوطن.

الحاجة لمراجعات شيعية

ففي الجانب السني هناك إجماع شبه كامل على حب الوطن والانتماء له أولا وأخيراً، وعلماء السنة حين يبدون مواقف حول ممارسات بعض الأنظمة التي يرون أنها تخالف الشريعة الإسلامية فإن ذلك لا يتجاوز حدود النصح والتوجيه العام وقصارى ما يدعون إليه هو أن تستقيم قوانينها وأنظمتها مع الشريعة الإسلامية، صحيح أن هناك امتداد وشعبية للعلماء تتجاوز الحدود والبلدان ولكن العالم السني يضع خطوطاً حمراء حول ولاء الشعوب لأوطانها بل كان لهم دور فعال في إقناع الكثير

(*) باحث جزائري.

مـن الـشباب في مراعـاة المـصلحة الوطنيـة، ولعـل في حالـة الـشباب الجزائـري مثـال عـلى ذلـك حـين قـام علـماء الـسنة بنـصيحة الـشباب بـالتراجع عـن حملـه الـسلاح ممـا سـاهم في إنهـاء الفتنـة، وهـم يفـضلون أن تـصدر الفتـوى مـن علـماء البلـد لمعـرفتهم بهـا وفقههـم لواقعهـا، ويحثـون النـاس عـلى أداء الزكـاة والـصدقة وكـل أعـمال الخير في بلادهـم ولا يلزمـونهم بتأديتهـا إلى جهـة معينـة فـضلا عـلى أن يؤدوهـا لهـم كـما يفعـل مراجـع الـشيعة ووكلاؤهـم الـذين يحاسـبون مقلـديهم عـلى تـسليمهم أمـوال الخمـس لهـم مبـاشرة عـبر مكاتـب وكلائهـم في كل البلاد.

أمـا في الـشق الـسياسي فالعقيـدة الـشيعية غايتهـا عـودة مهـديهم المنتظـر أو إمـامهم الثـاني عـشر ليعيـد حـق آل البيـت المغتـصب وينـتقم مـن النواصـب والمقـصود بهـم أهـل الـسنة وهـذا مبـدأ مـشترك بـين كـل اتجاهـاتهم، ويقـول الباحـث المـصري د.مـصطفى اللبـاد في هـذا الـصدد أنـه: «منـذ اغتيـال عـلي بـن أبي طالـب رضي الله عنـه نـشأ مـصطلح الـسلطة الدنيويـة للحكـام الجـائرين مـن غـير آل النبـي في مقابـل سـلطة آل بيـت النبـي التـي يمثلهـا إمـام الزمـان، أي سـلطة المهـدي المنتظـر أو الإمـام الثـاني عـشر، تأسيـسا عـلى ذلـك غـاص موضـوع اغتـصاب الـسلطة عميقـا في وجـدان الـشيعة حتـى صـار علـمًا علـيهم، وصـارت الـسلطة الدنيويـة مكروهـة عنـدهم في حـد ذاتهـا، لأنهـا تعنـي وجـدانيا اغتـصاب سـلطة آل البيـت بالـضرورة. وكانـت الفكـرة المـسيطرة حتـى قيـام الثـورة الإيرانيـة هـي أن الـشيعة مـا علـيهم إلا الانتظـار حتـى يعـود المهـدي الـذي سـوف يعيـد الحـق إلى نـصابه، ويـرد الحقـوق بالعـدل، بعـد أن يمحـو الفـساد ويزهـق الباطـل»[1]، ثـم قـام الخمينـي بتطـوير نظريـة ولايـة الفقيـه، وبغـض النظـر عـن الخـلاف الـشيعي - الـشيعي حولهـا فإنهـا تبقـى اجتهـادا شـيعيا توجـد دولـة يقـوم نظامهـا عـلى أساسـه ولـديها مـشروع أممـي إمبراطـوري متكامـل وشـامل سـخرت لـه كـل مواردهـا الماديـة الهائلة وتعمل منذ ثلاثة عقود على تنفيذه تخطيطا وتنفيذا.

ويوجـد أيـضا شـيعة ينتمـون لـدول أخـرى يؤمنـون بهـذا المـشروع ومـستعدون للمـوت في سـبيله فعـلى أسـاس ولايـة الفقيـه بنيـت عقائـديا وسياسـيا تنظـيمات حـزب الله العربيـة وتحديـدا الخليجيـة وعـلى أساسـها تحـدد تلـك التنظـيمات ولاءاتهـا وعلاقاتهـا بـالآخر المحـلي والخـارجي وتتحـرك وفقـا لمـا يـراه صـاحب الولايـة المطلقـة[2]، وإيـران تـستغل ذلـك لخدمـة مـصالحها القوميـة البحتـة لمواجهـة الـضغوط الدوليـة عليهـا وعـلى حلفائهـا، والتنظـيمات التابعـة لهـا بـشكل مبـاشر أو غـير مبـاشر تمتـد مـن العـراق كحـزب الـدعوة وجـيش المهـدي الجنـاح العـسكري للتيـار الـصدري وفيلـق بـدر وغيرهـا مـن المكونـات الـسياسية، والحـوثيين في الـيمن وخلايـا حـزب الله الحجـازي المنتـشرة في دول الخلـيج العربي.

وكـل التفجـيرات والأعـمال الإرهابيـة والاضـطرابات التـي تقـوم بهـا هـذه التنظـيمات جميعهـا تحـسب عـلى تيـار ولايـة الفقيـه مـا يعنـي أن هـذا التيـار يقابـل التيـار التكفـيري في الجانـب الـسني، وهـذه كلهـا حقـائق ثابتـة لا يمكـن تبريرهـا تلـزم الـشيعة بـشكل عـام والمقـصود بـذلك أن عـلى علمائهـم اتخـاذ مواقـف حاسـمة وحازمـة مـن هـذا التيـار، كـون تلـك الأعـمال التـي يـشرف عليهـا المرجـع آيـة الله عـلي خـامنئي في طهـران ترتقـي إلى مـستوى إرهـاب الدولـة. وحتـى لـو كـان

(١) مصطفى اللباد، حدائق الأحزان إيران وولاية الفقيه، دار الشروق، الطبعة الثالثة، القاهرة ٢٠٠٨، ص٢٤.

(٢) إبراهيم الهطلاني، الشيعة السعوديون قراءة تاريخية وسياسية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠١١، ص٢٢٢.

مؤسس هذا التيار الشيعي الخميني نفسه فإن ذلك يتطلب مراجعة عميقة في الأصول التي أدت إلى هذا الاجتهاد والتي لازالت تأثيراتها مستمرة ولا ينتظر أن تنعم الأوطان بالأمن معها والأسوأ من ذلك أنها متجهة للتضاعف في ظل التطورات الجارية في المنطقة والأزمات التي يمر بها نظام الملالي الداخلية والخارجية.

وشتان بين من يطلب من الحجاج الابتعاد عن المهاترات السياسية ويدعوهم لاستغلال الأيام المباركة للتقرب من ربهم ومن يستثمر موسم الحج لأغراض سياسية بإثارة الحجاج الشيعة ودفعهم للتظاهر والتسبب في إرهاق أرواح المئات منهم في بيت الله الحرام.

التطرف والإرهاب

بذل العلماء الكثير من الجهود للرّد على الفتاوى التكفيرية التي بررت الأعمال الإرهابية ضد الأبرياء من تفجيرات واغتيالات في العالم العربي والغربي، أما في الحالة الشيعية فلا تبذل أي جهود في هذا السياق وذلك لأن المواقف (المتطرفة) هي - باستثناء بعض الاجتهادات المعزولة - محل إجماع والاختلاف يكمن فقط في طريقة تسويق تلك الأفكار إذ بات من الصعب جدا في ظل التطورات على مستوى وسائل الإعلام بمختلف أنواعها الفصل بين الخطاب الموجه للطائفة ولمن هو خارج الطائفة، مثل موضوع سب الصحابة والطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ينكر الطرف الشيعي ذلك ويصف من يؤمن بها بأنه شاذ ولا يمثل الشيعة رغم أن أمهات كتبهم ومراجعهم تحوي تلك المعتقدات، لذلك باءت كل جهود التقريب بالفشل، واصطدم المحاور السني الذي كان يعيش قصة حب من طرف واحد بتعبير السياسي الكويتي وليد الطبطبائي[1] بعدم جدية الشيعة في التقارب واستغلالهم تلك المناسبات لنشر عقائدهم ومحاولة إقناع السنة بضرورة تقبلها وعدم جعلها أولوية للتقريب.

وما يؤكد أن هذه الأفكار كلها متفق عليها أن جل المتشيعين الذين يوصفون شيعياً بالمستبصرين يتبنون المواقف الشيعية المتطرفة من سب الصحابة والطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وكل الروايات في هذا السياق، فمن أين أتى هؤلاء بهذه الأفكار؟ لا شك من خلال الحوزات الشيعية في قم والعراق ولبنان وغيرها التي تستقطبهم وتشيعهم، ويكفي أن تفتح بكبسة زر على القنوات الشيعية التي تنقل مباشرة الاحتفالات بعاشوراء وعيد الغدير وغيرها من المناسبات الشيعية لترى وتسمع أشعار الرادود الحسيني وما تحويه من تكفير لأهل السنة والجماعة والتوعد للثأر منهم فضلا عن المحاضرات والدروس التي تؤصل لذلك في عشرات الفضائيات الشيعية.

المواطنة والطائفية

يأخذ موضوع الوطنية حيزا كبيرا من كتابات حسن الصفار ومحمد محفوظ وغيرهما من رموز ما يسمى بالتيار الشيعي الإصلاحي الذي يرتكز مشروعه على هذا الأساس، وقد خلصت الندوة التي عقدت بالدوحة مؤخرا حول دور التنوع المذهبي في مستقبل منطقة الخليج العربي بشكل عام إلى ضرورة معالجة الاختلاف من خلال الدفع بالعمل السياسي والفكري والاجتماعي والقانوني نحو تعزيز قيمة المواطنة ببناء دول المؤسسات

(١) رموز للسنة والشيعة في الخليج متفقون على ضرورة تعزيز المواطنة لتجاوز الطائفية، القدس العربي، ٢/ ١٢/ ٢٠١١.

والقانون، والبعد عن ما يثير الفرقة وما يجلب الفتنة[1].

ولا شك أنه لا جدال حول هذه الخلاصة ولكن الإشكال يقع في كيفية تجسيد هذه المبادئ على أرض الواقع، فما يدعو إليه محمد محفوظ وحسن الصفار وغيرهما من الرموز الشيعية يصطدم بمواقفهم العملية التي تطرح أسئلة بدل أن تقدم إجابات وتشكك في كل ما يكتب في هذا المجال، ولعل ليس آخرها البيان الذي صدر عن علماء شيعة بعد أحداث بلدة العوامية الذي رغم إدانته الصريحة للشباب الذين تظاهروا في حي الشويكة والعوامية باستخدام القوة والابتعاد عن السلمية إلا أن الموقعين عليه طالبوا الدولة بالتأكيد على انضباط الأجهزة الأمنية لكي لا تتكرر الحوادث المدانة وتفعيل لجنة التحقيق ما أوحى بمسؤولية للدولة أو لأجهزة الأمن في الأحداث ثم إقحامهم لموضوع عاشوراء بمطالبتهم بضرورة أن يمارس الجميع حريتهم في إقامة الشعائر دون قلق وحرج ما يوحي أن هذا لم يكن موجودا من قبل[2].

وتجدر بنا الإشارة في هذا السياق إلى أن طريقة صياغة البيان تعكس منهجية عند الحركات الشيعية تربط فيها بين المطالب الاقتصادية والسياسية والحريات الدينية لاستمالة الرأي العام العالمي إليها من جهة ولاستثارة أبناء طائفتها من جهة أخرى، وتتفاوت المطالب المذهبية بين شيعة الكويت والسعودية والبحرين، واللافت أنه في الأخيرة لها بعد سياسي مثل إنشاء المجلس الإسلامي العلمائي الشيعي ورفض كل القوانين التي يكون فيها تأثير للدولة على استقلالية المؤسسات الشيعية[3]، كما كان البعد المذهبي ظاهرا بوضوح في سلوك النواب الشيعة في مجلس الأمة الكويتي في بعض الأحيان[4].

وفضلا عن لازمة الفقر والحرمان التي تردد في كل المناسبات والتي تغلف بمطالب دينية هي الخلفية الحقيقية المحركة لها وهذا عين الطائفية وحتى إذا سلمنا جدلا بذلك فإن هذا ليس مبررا للارتماء بأحضان الغير، ثم هناك فرق بين التحالف الذي ينطلق من حسابات مصلحيه بحتة وبين الارتماء الذي ينطلق من خلفية أيديولوجية والأسوأ من ذلك كله الذي يمزج بين الاثنين وبتأصيل ديني كما هو حال الأحزاب الشيعية العراقية التي تربت في أحضان طهران وتلقت الضوء الأخضر وإشارة الانطلاق إلى الأحضان الأمريكية من الولي الفقيه وعبدت لها الطريق فتوى السيستاني أهم مرجع شيعي حاليا.

ويقودنا هذا إلى جزئية هامة جدا ألا وهي تأثير المرجعيات على الولاء للوطن، فكما هو معلوم تمثل المرجعية بتشعباتها ومواردها (الخمس) مركز المجتمع الشيعي، فمنذ بداية الغيبة الكبرى أصبح الفقهاء الشيعة زعماء للمذهب وقادة لجماهير المؤمنين، واختزلت جماهير الشيعة الدين والدنيا في الفقهاء، وكانت فتواهم هي دستور المؤمنين في عصر غيبة الإمام الثاني عشر والوكلاء الأربعة[5].

هذه الخلفية تشرع طرح التساؤل حول الولاء بين

(١) جميل الذيابي، نقاش المذهبية الخليجية، الحياة اللندنية، ٠٤/ ١٢/ ٢٠١١.

(٢) سامي جاسم آل خليفة، بيان علماء القطيف «خمسة وخميسة»، ميدل إيست أونلاين، ٢٥/ ١١/ ٢٠١١.

(٣) شحاتة محمد ناصر، سياسة النظم الحاكمة في البحرين والكويت والسعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (٢٠٠٣-٢٠٠٨) : دراسة مقارنة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١١، ص٢٨٧.

(٤) شحاتة محمد ناصر، المرجع السابق، ص٢٨٠.

(٥) مصطفى اللباد، مرجع سابق، ص٣٠.

الـوطن والمرجعيــة إذ لا يمكــن أن يجتمــع الــولاء لهــما في قلـب واحـد إلا إذا كـان فارسـيا مقلـدا لعـلي خـامنئي الـذي يفتخـر وقبلـه الخمينـي بالـشعب الإيـراني الأذكـى في العـالم والذي كان أفضل من شعب الحجاز أيام رسول الله ﷺ.

وبكل تأكيد من يخضع للمرجع في كل أموره الفقهية البسيطة لا يمكنه تجاوز نظرته لقضية تتعلق بمعرفته لإمام زمانه الذي إذا مـات ولم يعرفـه مـات ميتـة جاهليـة، وإيـران تـدرك ذلـك جيـدا وبالفعل تسخر المرجعية لخدمة أغراضها وها هي تحضر لخلافة السيستاني بمحمـود هاشـمي الـشاهرودي الـذي لم يـأتِ اختيـاره عبثاً فهـذا الـشخص كـان الـذراع الأيمـن للخمينـي في المهـمات الحساسة، فقد كان مكلفاً بالتنسيق مع المخربين والعملاء وباقي الحركات الإرهابية المسلحة في العراق ولبنان وغيرهما من دول المنطقة[1].

هـذه الحقيقـة يحـاول الـصفار وغـيره إنكارهـا باعتبـار أن «الرجوع إلى المرجعية في قم أو النجف تكون في إطار الفتوى الدينيـة والقـضايا الدينيـة فقـط، أمـا فيما يـرتبط بالوضـع السـياسي فالقيادات المحلية الشيعية هي التي تتعاطى مع هذه الأمور دون أي تـدخل مـن مرجعيـات قـم أو النجـف»، وإضـافة إلى مخالفتـه بهـذا الكـلام الـشيعة قاطبـة ينبـه أبـو أنـس عبـد الله إلى أن الـصفار يحيـل التبعيـة السـياسية لعلـماء الـشيعة في الـداخل ولـيس للدولـة السعودية ومعلوم أن علماء الداخل أشد تبعية لعلماء الخارج من العـوام[2]، وإلى جانـب ذلـك فـإن مـا قـام بـه الـصفار وجماعتـه في الحركـة الإصـلاحية عنـدما غـير مرجعيتـه مــن الـشيرازي إلى السيستاني يعكس أهميتها كون أن السيستاني من دعاة الانتظار ولا يؤمن بولاية الفقيه، وهذا يظهر للدولة أن أعضاء الحركة لم يعـد لـديهم فكـرة إقامـة دولـة الفقيـه وإنـما أصـبحوا مـن الطائفـة المنتظرة لدولة القائم من آل محمد الغائب، والتي وإن كانت ترى أن الدولة ظالمة وغاصبة، إلا أنها على الأقل لا تسعى لإسقاطها، مع الإشارة إلى أن هذا القرار لم يكن إلا بعد إحساسهم بصعوبة التغيير الثوري وفق النظرة الرسالية في السعودية، لذلك كان من سياسة المرحلة أن يكون هذا القرار الذي سوف يحقق مصالح أكثر من خيار الصدام الذي لم يعد مجدياً في هذه المرحلة[3].

ومـن يطلـب مـن الدولـة التحقيـق في أحـداث يـدينها عليـه أن يطلـب مـن الدولـة المعتديـة عـلى الأقـل أن تكـف إعلامهـا وهـذا مـا يغيـب في الخطـاب الـشيعي الـذي يوصـف بالوسـطي أو المعتدل.

ونخلـص مـن هـذا أن الفقـه الـشيعي بـين خيـارين أو مـوقفين إمـا رافـض للـسلطة بـشكل كامـل ومنعـزل منتظـر للمهـدي المنتظـر معطـل للكثـير مــن الـشعائر أو مـؤمن بولايـة الفقيـه وبـين هـذين المـوقفين لا مكـان للمواطنـة بعيـدا عن كل التنظيرات الفلسفية.

الطائفية بين الدافع الديني والاستغلال السياسي

عبد الحميد الكاتب[*] – خاص بالراصد

رغــم تــورط القــوى الــشيعية العلمانيــة والدينيــة في سياســات ومواقــف طائفيــة متــشددة ومفـضوحة إلا أنهـم لا يزالـون يحظـون بـشعبية لا بـأس بهـا – رغـم تناقـصها – ولا يــزال النــشاط الــشيعي في المنطقــة يتمتــع بتأييــد كثــير مــن

(١) بلال الهاشمي، مواقف متأزمة بين الشاهرودي والسيستاني على مرجعية النجف، فلمن ستكون الغلبة!!، على الرابط:
http://www.almansore.com/Art.php?id=26621

(٢) أبو أنس عبد الله، السعودية وولاية الفقيه، نسخة إلكترونية، الطبعة الأولى ٢٠١١، ص١٢٩.

(٣) أبو أنس عبد الله، المرجع السابق، ص١٣٢-١٣٣.

(*) كاتب عراقي.

النخب العربية المثقفة على اختلاف توجهاتها العلمانية والقومية والإسلامية السنية، تارة بذريعة الوحدة الإسلامية وتارة بذريعة المقاومة والتوحد لمواجهة الصهيونية والمشروع الأمريكي.

يُقدّم المدافعون العرب عن المذهب الشيعي وأتباعه جملة من التفسيرات والتأويلات لذلك السلوك الطائفي، منها:

تقسيم التشيع إلى شق عربي علوي معتدل، وآخر صفوي فارسي متشدد لا يمثل مدرسة آل البيت وهذا رأي يحمله بعض الشيعة وتلقفه منهم بعض السنة.

وهناك من يجعل التشيع ضحية لمؤامرات الساسة والطامعين في الحكم والرئاسة ممن يتخذ الدعاية المذهبية وسيلة لحشد الأتباع والأنصار فهو لا ينطق باسم المذهب وإنما يجعله مطية للعبور إلى أهدافه ومطامعه، وهذه الفكرة هي الأكثر ذيوعاً وانتشاراً في الساحة الفكرية كأداة لدرء التهم والمطاعن الموجهة للتطرف الشيعي.

ففريق من القوميين العرب يتهمون الفُرس باعتناق التشيع وتحريفه بالأفكار الغالية والمتطرفة للتآمر على الحكم العربي الإسلامي، ونشر الفتن والقلاقل الدينية والسياسية في المجتمع انتقاماً لزوال سلطانهم ودولتهم على يد الفاتحين العرب بقيادة الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوم القادسية سنة ١٥ هجرية.

وهؤلاء يجعلون الحركة الشعوبية والثورات في زمن العباسيين، والدولة الصفوية من نتاج الجهود الفارسية لهدم بنيان العرب السياسي والحضاري، واستعادة المجد الكسروي، لذا فإن الجمهورية الإيرانية – حسب هؤلاء– ترعى النشاط الشيعي لمد نفوذها السياسي في المنطقة من منطلق فارسي ولا تمثل الوجه الحقيقي للتشيع العربي، فالتحرك الطائفي دافعه سياسي بحت لا يعبأ بجوهر العقيدة الشيعية حسب رأي المدافعين أو الداعين لنبذ التفرقة المذهبية.

في البداية لا بد من التسليم بأن هذه الادعاءات – على إطلاقها[1] - عارية عن الدليل، لأنها تفرض قولاً لا يقبله الشرع ولا العقل ولا تصدّقه قراءة سير الملوك وتواريخ الأمم، مفاد هذا القول أن الحاكم لا يعبأ بأي مذهب ديني، وأنه اذا اعتنق ديانة أو مذهباً فمرد ذلك فقط لأسباب سياسية تتصل بحفظ العرش وتوسيع النفوذ وبسط السيطرة.

لن نتطرف في قولنا إن المذاهب والأديان (فاسدها وصالحها) لا تنتشر في الأرض إلا بقوة السلطان، فالمذاهب الباطلة تُفرض قسراً ويُجبر الناس عليها، وأما الدين والمذهب الحق فلا بد له من قوة تقمع المجادلين عن الباطل الذين يصدون الناس عن السبيل المستقيم، يقول ابن تيمية: «قوام هذا الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر».

فالمسيحية انتشرت في أوربا بعد أن اعتنقها الامبراطور قسطنطين وجعلها الدين الرسمي لمملكته، والتشيع انتشر في إيران بعد أن فرضه الشاه إسماعيل الصفوي على أبناء تلك البلاد، حيث أجبر الناس على سب الصحابة، وذُبح في تلك السنين العجاف خلق كثير من أهل السنة.

ولما تبنى الخليفة العباسي المأمون القول بخلق

(١) لا ننكر دور الفُرس في توجيه الفتن الداخلية، لكنهم استغلوا أرضاً قابلة للحرث والزراعة، وتعاملوا مع وصفة دينية مطورة للتخريب والإفساد الفكري والسياسي، فهم موجهون وليسوا صانعين للمذهب الشيعي.

القرآن تأييداً للمعتزلة حصلت المحنة المشهورة للأمة وللعلماء وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، وما رفعت المحنة عن أهل السنة في خلافة المتوكل إلا لإيمان الأخير باعتقاد أهل السنة.

إن الحروب الدينية التي خاضها الأوربيون في مصر والشام وإسبانيا (الأندلس سابقاً) إنما جاءت لقناعتهم بأن هذه أراض مقدسة عند المسيحيين لا بد من استعادتها فكانت حملات دينية بامتياز ومعارك استرداد مقدسة ومباركة من قبل رجال الكنيسة.

الشواهد والأدلة متكاثرة على دحض هذا القول الذي يفتقر إلى البرهان والدليل، فهو مردود جملة وتفصيلا، بل إن من تمام الملك وغاية القوة أن يفرض الحاكم المذهب الذي يعتقده على شعبه لا يبتغي من وراء ذلك أهدافاً سياسية ودوافع مادية، ومن هذا الباب ادعى بعض الملوك الألوهية وهو ما عرف عند ملوك مصر وإيران حيث أجبروا شعوبهم على الإقرار بألوهيتهم، ولا أدري هل يرجع هذا التصرف لأسباب سياسية! ولقد أصبحت هذه الحقيقة حقيقة مسلمة لا نقاش فيها حتى تحولت لمقولة مشهورة «الناس على دين ملوكهم».

لا يجد المثقفون العرب المجتهدون في تلميع صورة المذهب الشيعي ما يستندون إليه في مساعيهم إلا مجرد الأماني ومحض الأحلام، فعاطفتهم نحو توحيد الصف العربي والإسلامي ورغبتهم نحو تجاوز الخلافات والمشاكل الدينية الداخلية والتفرغ لمواجهة الغزو الخارجي والتدخل الأجنبي تدفعهم للشطط والأخذ بمثل هذه الآراء المرفوضة شرعاً وعقلاً.

اتهامات خطيرة

لا بد من التنبيه إلى أن التفريق بين السياسي والديني ينطوي على اتهامات خطيرة لرموز وحقب زمنية ودول قامت عليها بناء الحضارة الإسلامية، منها:

١ - اتهام سائر علماء المسلمين السنة بالرضوخ لسياسات الحكام في خوضهم للسجالات الفكرية مع أبناء الطوائف والفرق المنتسبة للإسلام كالشيعة وغيرهم، لتصبح الردود العلمية وكتب الدفاع عن السنة موضوعة بإملاءات من السلطات المناوئة للحركات الشيعية الساعية لاستعادة الحق المزعوم لآل البيت في قيادة الأمة، أما العلماء المعارضون للتخريب الشيعي فهم عبيد السلطان وجنده المطيعون لا أنهم يتحركون دفاعاً عن العقيدة وحماية للشريعة.

٢ - التشكيك في إسلام بعض القادة والحكومات الإسلامية، والطعن في ولائها للإسلام وربط أعمالهم بغايات تتصل بتثبيت دعائم الحكم وترسيخ أركانه، ومن هنا برز اتهام المؤرخين الشيعة وبعض السنة لبني أمية باتخاذ الإسلام جسراً لاستعادة مجدهم وأرستقراطيتهم أيام الجاهلية[1]، ومن هنا يأتي هجوم الشيعة على السلطان المجاهد صلاح الدين الذي حرر الأقصى.

إن هذه الاتهامات وغيرها تطعن في جهاد العلماء والحكام المخلصين للدين وتصوّر عمليات تطهير الصف الداخلي ومعالجة الفساد الباطني بأنها مؤامرات حيكت في بلاط الحكام لتفريق الصف وزرع الفتن بين المسلمين حتى لا يلتفت أحد إلى إصلاح مؤسسة الحكم ومحاسبة المسؤولين ومعاقبة الفاسدين.

وهذا الأمر يتصل بتلميع صورة الحركات الفاسدة في

(١) أُخترعت ووضعت روايات وأشعار منسوبة لأبي سفيان بإنكار البعث والحساب، وأخرى منسوبة ليزيد بن معاوية يفتخر بأخذه الثأر لآبائه الذين قتلوا يوم بدر بعد أن قتل الحسين رضي الله عنه سنة ٦١ هجرية.

معتقـدها الـديني المفـسدة في سـلوكها الـسياسي كفـرق الـشيعة، لـذا فليس مـن المستغرب أن تُـصنف الفـرق الـشيعية الغارقـة في فسادها ودمويتهـا بأنهـا حركـات معارضـة سياسـية تـدعو للعدالـة الاجتماعيـة والإصـلاح الـسياسي والثـورة عـلى الظلـم، فالتـشيع الإمـامي يـربط بـما يـسمى الثـورة الحـسينية الكـبرى، وحركـات الإسـماعيلية وجماعـة إخـوان الـصفا يرفـضون اسـتئثار الحـاكم بالـسلطة والثـروة، ويـدعون لمحاربة مظاهر الظلم المنتشرة في البلاد الإسلامية!!!

وفي مقابـل الثوريـة الـشيعية، يـصور المعـسكر الـسني بقيـادة الأئمـة الأربعـة في خنـدق الطغـاة والمـستبدين! هـذا مـا تـؤول إليـه القـراءة الـشيعية واليـسارية لتاريخنـا وحـضارتنا الإسـلامية، دون أي اعتبـار لحمايـة الكيـان الـديني والأمـن العقدي والمصالح العليا للأمة.

موقـف الـشيعة مـن الاسـتغلال الـسياسي المزعـوم للمذهب

مـن المفـترض أن ينـتفض الـشيعة دفاعـاً عـن مـذهبهم المختطـف مـن قبـل الحكومـات وذوي الأطـماع في بـسط النفـوذ وتوسـيع الـسيطرة الـسياسية، إلا أن هـذا الافـتراض لم يقـع لأن أسـبابه لم تقـم مـن الأصـل، ففـي زماننـا توجـه أصـابع الاتهـام لإيـران التـي تُوصـف بـ «الـصفوية الفارسـية» باختطـاف المـذهب واسـتغلاله لتوسـيع نفوذهـا الـسياسي والاقتـصادي والثقـافي مـستغلة وجـود الأقليـات الـشيعية في العـراق والـشام والجزيـرة العربيـة، ولم يـبرز حتـى الـساعة مـشروع شـيعي عـربي أو مرجعيـة دينيـة تمثـل الوجـه الحقيقـي للتـشيع المختطـف، بـل الجميـع يـدور في الفلـك الإيـراني، ويتنـاغم مع سياسات مرشد الثورة خامنئي!

أمـا الأصـوات النـشاز المغـردة خـارج الـسرب الـشيعي فهـي معدومـة التـأثير والجماهـير، بـل إن المنـاوئين اليهـود لـسياسة الدولـة اليهوديـة أكثـر مـن المعارضـين الـشيعة لعدوانية الدولة الإيرانية، وأكثر تأثيراً منهم.

ومظلوميـة التـشيع عنـد هـؤلاء المعتـدلين مـن الـشيعة العـرب مـضاعفة، فهـم يعدونـه مـذهباً مـضطهداً بطبعـه مـن المحـيط الإسـلامي الـسني، ومظلـوم مـن قبـل أهلـه الـذين سخروه لغاياتهم وأطماعهم السياسية.

والأكثـر مـن هـذا فـإن المعارضـين الـشيعة للـسياسة الإيرانيـة ومـا يـسمى بـ «التـشيع الفـارسي الـصفوي» يعـبّرون عـن معارضـتهم بالجملـة دون الخـوض في تفاصـيل هـذه المعارضــة، فمـثلاً في موضـوع المليـشيات الـشيعية التـي قـادت حـرب التطهـير والإبـادة ضـد العـرب الـسنة في العـراق بعـد الاحـتلال الأمريكـي لا سـيما عـامي ٢٠٠٦-٢٠٠٧، لا تجـد شـيعياً يـتهم التيـار الـصدري (جـيش المهـدي) وإيـران بـالوقوف وراء الحـرب الطائفيـة، وإنـما يلجـؤون كعـادتهم لاتهـام الموسـاد والمخـابرات الأمريكيـة، فـيما يكتفـي بعـضهم بـالقول بـأن دور إيـران والـسعودية كـان سـلبياً!! وأكثـرهم إنـصافاً مـن يـتهم بعـض المـسؤولين الإيـرانيين مبرئـاً القيادة الإيرانية الرسمية!

بـل مهـما بحثـت في التـصريحات والمواقـف للقـوى الـشيعية الممثلـة لمـا يـسمى «التـشيع العلـوي» فلـن تجـد مـا يدين أي سلوك طائفي للشيعة.

فالـشيعي المـدافع عـن عروبـة وأصـالة التـشيع لا يقـدم المـشروع البـديل والجمهـور المؤيـد لهـذا المـشروع فتغـدو تـصريحاته الإعلاميـة وحربـه الكلاميـة عـلى التـشيع الـصفوي والأطـماع الفارسـية بمثابـة قنابـل دخانيـة للتغطيـة عـن النـشاط الـشيعي لإيـران وحلفائهـا، وهكـذا يُـصبح الاعتـدال الـشيعي العربي أخطر من التطرف الصفوي الفارسي!

ورغـم انعـدام أي وجـه للمقارنـة بـين الـسنة والـشيعة لكـن التـاريخ الإسـلامي يغـص بـسير الملـوك المـصلحين والـولاة

العادلين، فيما لا يحوي التاريخ الشيعي إلا أخبار الدول البويهية والعبيدية الإسماعيلية والقرامطة والصفوية والخمينية، وهي بطبيعة الحال صحف سوداء لا يقترن بها إلا محض التردي الديني والسياسي والاجتماعي للأمة.

لماذا يُمتطى التشيع دون غيره؟

في الواقع لم يمتطَ التشيع لخدمة السياسة وأطماع أهلها، وإنما وجده الجميع وصفةً جاهزةً مطورة لنقض أسس الإسلام العقدية الفكرية وزعزعة الكيان الاجتماعي والسياسي للدولة الإسلامية فكان حرياً بأن يكون المطية التي جمعت الطامعين والحاقدين، وكأنه كان ينادي بهم: من يحملني لأنقله إلى بغيته وأبلغه مراده! فالتشيع هو الورقة الرابحة لكل المتربصين!

لا يتمكن التشيع من التعايش مع الجسد الإسلامي لذلك لا بد أن يكون في صف المعارضة التي تسعى لإسقاط النموذج القائم وبناء منهج ديني وسياسي مختلف تماماً، فهو مشروع هدمي لا إصلاحي ثوري كما يحلو للبعض تصويره.

إن التشيع لا يمكن أن ينهض به إلا من يوصف بالتشدد و«التطرف الصفوي» فهم أهله والأجدر به والأليق بحمله، أما أنصار الراية «العربية الشيعية» فلا يمكنهم العيش والعمل لصالح المذهب إلا في ظل سلطة سياسية متطرفة كجمهورية الخميني أو دولة إسماعيل الصفوي.

فسطوع نجم الشيعة في القرن العشرين هو من آثار ثورة الخميني ٢/ ١٩٧٩! كما أن سطوعه في القرن الحالي جاء بعد احتلال العراق وتدميره ٤/ ٢٠٠٣، ولولا هذين الحدثين لم يكن للتشيع أي ذكر ولبقي حبيس الحوزات الدينية.

أي أن التطرف والتشدد هو الذي نهض بأمر الشيعة في زماننا، وفي كل زمان، وهذا يؤكد أن الاستغلال السياسي المزعوم للتشيع هو الضمان الوحيد لبقاء النشاط الشيعي، كما أنه نتيجة متوقعة لعقود من القهر والتسلط والرضوخ للحكم الإسلامي السني، فمن غير المعقول أن يكون السلوك الشيعي السياسي أو الديني بعد قرون من «المظلومية» المزعومة في غاية الحكمة والهدوء والوعي بعيداً عن سفك الدماء وتلويث سمعة التشيع العلوي!!

موسوعة مصطلحات الشيعة (١٨)
(حرف القاف)

هيثم الكسواني(*) – خاص بالراصد

القائم

من أسماء المهدي المنتظر عند الشيعة الإثنى عشرية، ويلقبونه أيضا بقائم آل محمد، ومعناه الذي لا يموت حتى قيام الساعة، إذ يعتقد الشيعة أن المهدي اختفى في القرن الثالث الهجري عندما كان طفلا صغيرا، غيبةً صغرى استمرت حوالي ٧٠ سنة، كان خلالها يتصل بالناس عبر نوابه وسفرائه، ثم غاب بعدها غيبته الكبرى بدءاً من سنة ٣٢٩هـ، ويعتقدون أنه ما زال حيّاً إلى اليوم، وأنه سيخرج في آخر الزمان.

قاضي المشانق

لقب أُطلق في إيران على رجل الدين صادق خلخالي، المعروف أيضاً بجلاّد الثورة. وُلد خلخالي سنة ١٩٢٧م، وكان أول مدّعٍ عام في إيران بعد انتصار الثورة سنة ١٩٧٩م، وارتبط اسمه برئاسة المحاكم الثورية الإيرانية

(*) باحث أردني.

المؤقتة سيئة السمعة، والتي أصدرت الكثير من أحكام الإعدام التعسفية بحق المعارضين. اعتزل خلخالي السياسة والناس في آخر حياته، وتوفي في سنة ٢٠٠٣م.

ويَذكر د. موسى الموسوي في كتابه «الثورة البائسة» شيئا من الأحكام التعسفية التي كان يصدرها خلخالي، ويباركها الخميني، فينقل في الكتاب عن حسين الخميني، حفيد مؤسس الجمهورية الإيرانية روح الله الخميني، أنه «عندما ذهب بصحبة الخلخالي (جلاّد الثورة) إلى كردستان لقمع الحركة الكردية، أراد الشيخ الجلاد لدى وصوله إلى سنندج تنفيذ حكم الإعدام في ثلاثين شخصا من المسجونين فورا وقبل التثبت من اتهامهم وهوياتهم.

فقال له (أي حسين الخميني): اتّقِ الله يا رجل، كيف تقتل أناسا لم تعرف أسماءهم؟ كيف بأعمالهم؟

فأجابه الشيخ الجلاّد: لإلقاء الرعب في نفوس الناس عامة.

وبعد الإلحاح والرجاء والالتماس خفّض الحاكم الجلاد عدد الثلاثين إلى عشرة، ثم قتل العشرة جميعا في بضع دقائق، وظهر فيما بعد أنه كان بين المعدومين بلا جرم وذنب طفلٌ عمره ١٣ سنة، وطبيب مجروح، وامرأة معلمة. ولمّا سمع الخميني بما فعل جلاده حوقل ثلاث مرات، وانتهى كل شيء».

قده

اختصار لعبارة: «قُدِّس سره» التي يلحقها الشيعة بأسماء مراجعهم وشيوخهم الكبار. وللشيعة في معنى هذه العبارة أقوال عديدة، منها:

١- طاب ثراه، أي جعل الله تربته وقبره محلّ أمنٍ وسلامةٍ له.

٢- أن سرّه، أي باطنه، كان كظاهره في الإيمان والصلاح، والدعاء بأن يقدِّس باطنه، أي أن يبارك ويطهِّر روحه ويرفع درجاته.

٣- أن يقدس الله تعالى نفسَه أو سرَّه هو أن يتلقاها نقية من العيوب والذنوب بلطفه وعفوه.

قزلباش

كلمة تركية تعني الرأس الأحمر. و«القزل باش» هم ميليشيا من الصوفية المتشيعة الذين شكلوا عماد الجيش الصفوي، وساهموا في تأسيس الدولة الصفوية في بداية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وقد سُموا بذلك نسبة إلى القبعات أو القلنسوات الحمر التي كانوا يلفونها على رؤوسهم، وتحتوي على ١٢ طيّة أو لفّة، إشارة للأئمة الإثنى عشر.

ويبين د. حسن الجاف في كتابه «الوجيز في تاريخ إيران» أن حيدر الصفوي (والد إسماعيل أول ملوك الدولة الصفوية) هو أول قائد صفوي نظّم جيش القزل باش، وجهّزه بالعدد اللاّزمة.

وبعد وفاة حيدر، استمر اعتماد ابنه إسماعيل على القزلباش وتقريبهم، بل ادّعى أن عليّاً رضي الله عنه هو الذي أوصاه بالاستعانة بهم لتأسيس الدولة الصفوية الشيعية. يقول الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي» عن إسماعيل الصفوي: «وبينما كان ذات يومٍ مع رفقائه الصوفية خارجين للصيد في منطقة تبريز، مرّوا بنهر، فطالبهم بالتوقف عنده، وعبَرَ هو النهر بمفرده، ودخل كهفاً.. ثم خرج متقلدا بسيف، وأخبر رفقاءه أنه شاهد في الكهف صاحب الزمان، وأنه قال له: (لقد حان وقت الخروج).. وادّعى بعد ذلك أنه شاهد الإمام علي بن أبي طالب (ع) في المنام وأنه حثّه على القيام وإعلان الدولة الشيعية، وقال له بالحرف

الواحد: (ابني.. لا تدَع القلق يشوش أفكارك.. أحضِر القزلباشية مع أسلحتهم الكاملة إلى المسجد وأؤمرهم أن يحاصروا الناس.. وإذا أبدى هؤلاء أية معارضة أثناء الخطبة باسم أهل البيت فإن الجنود ينهون الأمر).. وهكذا فعل الشاب إسماعيل.. حيث أحضر القزلباشية، وحاصر جامع تبريز ذات جمعة، وأعلن سيادة المذهب الإمامي الإثنى عشري، وقيام الدولة الصفوية».

وعن الأهمية التي كان يوليها إسماعيل الصفوي لقوات القزلباش، يقول د. الجاف: «كان الشاه إسماعيل يدير أموره على أساس أن القوة السياسية يجب أن تعتمد على قوة عسكرية مخلصة تربطها وشائج عقائدية متينة تجعلها مستعدة كل الاستعداد للاستماتة في الدفاع عن معتقداتها وقائدها، فكان جيش القزل باش خير معين له في تنفيذ أهدافه المنشودة في الاستيلاء على المدن والولايات الإيرانية كافة الواحدة تلو الأخرى».

قسيم الجنة والنار

وصف أطلقه الشيعة على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد زعموا أن الرسول ﷺ قال له، كما في عيون أخبار الرضا لابن بابويه، وبحار الأنوار للمجلسي: «يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة، تقول للنار هذا لي وهذا لك».

وجاء في بحار الأنوار وفي غيره أنه «إذا كان يوم القيامة وُضع منبر يراه الخلائق، يصعده رجل يقوم ملك عن يمينه وملك عن شماله، ينادي الذي عن يمينه: يا معشر الخلائق، هذا علي بن أبي طالب صاحب الجنة يُدخلها من يشاء، وينادي الذي عن يساره: يا معشر الخلائق، هذا علي بن أبي طالب صاحب النار يُدخلها من يشاء».

القصيدة الأزرية

قصيدة مشهورة عند الشيعة في ألف بيت، وتسمى أيضا: القصيدة الهائية، لمحمد كاظم الأزري (١١٤٣ – ١٢١١هـ) وقد أوصى صاحبها قبل وفاته بدفنها معه وبالفعل قام أصحابه بذلك، ناسين أنها النسخة الوحيدة من القصيدة، وبعد فترة نبشوا القبر وأخرجوا القصيدة فاذا بها تتضاءل إلى ٥٧٠ بيتاً.

وللقصيدة عند الشيعة مكانة عظيمة، فقال بعضهم عنها: «ينبغي أن تُعدّ كتاباً دينياً لا قصيدة لأنها تمثل رأي الإمامية في النبوة والإمامة تغني بجملتها عن مجلدات ضخمة». وبلغت أهميتها عند الشيعة حدّاً جعل شيخهم محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ) يتمنى أن يكتب في ديوان أعماله يوم القيامة القصيدة الأزرية مكان كتابه (جواهر الكلام شرح شرائع الإسلام) على الرغم من أن الشيعة يعتبرون (جواهر الكلام) كتابا عظيما في الفقه لم يُكتب مثله.

وتحتوي أبيات القصيدة شركاً واضحاً وغلوّاً في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيها ذم للصحابة، ولأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ومن ذلك قول الشاعر في عليٍّ:

وهو سر السجود في الملأ الأعلى ولولاه لم تعفر جباها

وهو الآية المحيطة في الكون ففي عين كل شيء تراها

الفريد الذي مفاتيح علم الواحد الفرد غيره ما حواها

وقوله:

يا ابن عم النبي أنت يد الله التي عمّ كل شيء نداها

أنت قرآنه القديم وأوصافك آياته التي أوحاها

كل ما في القضاء من كائنـات

أنـــــــت مولى بقائها وفنائها

وفي ذم الصحابة قوله:

أهُم خير أمة أُخرجت للناس؟

هيهــــــــات ذاك بل أشقاها

وفي القصيدة يذم الأزري أمَّ المؤمنين عائشة ويبشرها بالنار، ويقول:

أي أم للمؤمنين أســـــــاءت

بِبَنيها ففرّقتهـــــم ســـواها

فبإحراق مالك سوف تُجزى

من لظى مالك أشـــر جزاها

القطعية

مـن الألقـاب التـي أُطلقـت عـلى الـشيعة الإثنـى عـشرية، فبعـد وفـاة جعفـر الـصادق، الإمـام الـسادس عنـد الـشيعة الإثنـى عـشرية والإسـماعيلية، نقـل قسمٌ مـن الـشيعة الإمامـةَ إلى ابنـه موسـى الملقّـب بالكـاظم، ثـم قطعـوا بمـوت موسـى، واعتـبروا ابنـه عليّـاً، الملقّـب بالرضـا، إمامـا مـن بعـده وقطعـوا عليه.

ويبـين الباحـث الـشيعي أحمـد الكاتـب في كتابـه «تطـور الفكـر الـسياسي الـشيعي» أن القطعيـة رووا نـصوصا كثـيرة عـن الكـاظم حـول تعيـين ابنـه الرضـا خليفـة لـه وإمامـا مـن بعـده، وأن مـسمى «القطعيـة» بـرز في مقابـل «الواقفـة» الـذين وقفوا على إمامة الكاظم.

ويـرى الـدكتور نـاصر القفـاري في كتابـه «أصـول مـذهب الـشيعة» أن القطعيـة هـم أسـلاف الإثنـى عـشرية، لأن الـشيعة كانـت تختلـف بعـد مـوت كـل إمـام مـن أئمتهـا، وفرقـة القطعيـة حلّ بهـا هـذا الانقـسام، وانفـصل منهـا فـرق لم تعتقـد بـالإثنى عـشر، أي أنـه قـد صـار مـن فـرق القطعيـة مـن لم يكـن مـن الإثنى عشرية، وبالتالي فالقطعية أعمّ من الإثنى عشرية.

القطيف

محافظـة سـعودية تقـع في المنطقـة الـشرقية، وتـضم ثـلاث مـدن هـي: القطيـف وسـيهات وصـفوى. وفي القطيـف يتركـز شـيعة الـسعودية الـذين تـصل نـسبتهم إلى حـوالي ٥٪ مـن مجمـوع سـكان المملكـة. وقـد أطلـق الـشيعة فـيما سـبق عـلى القطيـف اسـم «النجـف الـصغرى» لكثـرة مـا كـان بهـا مـن مدارس ومتعلمين شيعة.

ويعتـبر الـشيخ عبـد الله الخنيـزي والـشيخ حـسن الـصفار من أعلام الشيعة المعاصرين بالقطيف.

قُم

مدينـة إيرانيـة تقـع إلى الجنـوب مـن العاصـمة طهـران، وهـي مـن المـدن المقدسـة عنـد الـشيعة. وتنبـع أهميتهـا مـن وجـود بعـض المراقـد والمقامـات مثـل مرقـد الـسيدة فاطمـة المعـصومة بنـت الإمـام موسـى الكـاظم، سـابع الأئمـة المعـصومين عنـد الـشيعة الإثنـى عـشرية، ومـسجد جمكـران الـذي يعتقـد الـشيعة أنّـه بُنـي بـأمر المهـدي المنتظـر، الإمـام الثـاني عـشر عنـد الـشيعة الإثنـى عـشرية. كـما تُعتـبر الحـوزة العلمية في قم من أهم المراكز العلمية الدينية عند الشيعة.

وقـد وضـع الـشيعة في فـضل قـم وقداسـتها وفـضل أهلهـا الكثـيرَ مـن الروايـات، منهـا مـا نـسبوه للرضـا أنـه قـال: «للجنـة ثمانية أبواب فثلاثة منها لأهل قم».

ويقــول نــور الــدين الــشاهرودي، في كتابــه «المرجعيــة الدينيــة ومراجــع الإماميــة»: «وقُــم هــي مــن أمهــات المــدن الـشيعية منـذ زمـن الأئمـة الأطهـار علـيهم الـسلام، وقـد ورد في أقـوالهم مـا يـدلّ عـلى أن هـذه المدينـة كانـت موضـع عنايـة خاصـة مـنهم، فقـد جـاء في كتـاب مجـالس المـؤمنين أنـه رُوي عـن الإمـام عـلي أمـير المـؤمنين (ع) قولـه: (سـلام الله عـلى

أهل قم، ورحمة الله على أهل قم، سقى الله بلادهم الغيث، وتنزّل عليهم البركات فيبدلّ سيئاتهم حسنات، هم أهل ركوع وخشوع وسجود وقيام وصيام، هم الفقهاء العلماء، هم أهل الدين والولاية والعبادة وحسن العبادة)».

قراءة في مواقف بعض النخب السنية العراقية
٢- هيئة علماء المسلمين

صباح العجاج(*) – **خاص بالراصد**

تناولنا في الحلقة الماضية (جماعة[1] مثقفي وعلماء العراق) وطريقة تفكير هذه النخبة، وقد جاءت الأخبار بعد نشر المقال بنية مجموعة سنية تضم: عبد اللطيف الهميم وخالد الملا وقتيبة عماش وآخرين تشكيل جبهة مع المالكي كبديل سني عن القائمة العراقية، مما يؤكد أن قراءتنا لهذه الجماعة كانت قراءة دقيقة وسليمة.

اليوم نتناول نموذجاً أكثر شهرة من الأول، ولعب دوراً واضحا في المشهد العراقي منذ احتلاله سنة ٢٠٠٣، وهذه الهيئة أكثر شهرة ونزاهة من سابقتها، رغم أنها تشترك معها في كثير من الرؤى مع اختلاف في النوايا والمقاصد، ورغم نُبل مقاصدها إلا أن نتائج مواقفها وسياساتها كان أكثر سلبية على سنة العراق، وأكثر كارثية على المجتمع العراقي من جماعة مثقفي وعلماء العراق.

وهذا النموذج هو هيئة علماء المسلمين بالعراق، والهيئة في أصل نشأتها تأسست سنة ٢٠٠٣ بعد الاحتلال كأحد تجليات الحزب الإسلامي أو حركة الإخوان المسلمين في العراق، وكجزء من رؤية الإخوان لترتيب الوضع السني في العراق، في البداية ضمّت الهيئة كل التوجهات الدينية العراقية (إخوان، سلفيين، صوفيين، تحريريين، ومستقلين)، إلا أنها تقلّصت، حيث تركها العشرات ممن دخلها من جميع التوجهات المذكورة، ومن ثمّ تحولت بعد مدة وجيزة لشيء آخر مختلف، فقد أصبحت لا صلة لها لا بالحزب الإسلامي ولا بالإخوان المسلمين!

وأصبحت الهيئة تقتصر على أربع شخصيات أساسية: الدكتور الشيخ حارث الضاري، وابنه الدكتور مثنى، والدكتور بشار الفيضي، والدكتور عبد السلام الكبيسي؛ أما الدكتور حارث وابنه مثنى فهما يتبعان مدرسة الإخوان المسلمين، وبشار الفيضي أقرب إلى لتيار الصوفي المعتدل، أما الدكتور عبد السلام فعلى علاقة حميمة مع حزب البعث وعزة الدوري.

الأفكار التي تتمحور حولها الهيئة:

* المحتل الأمريكي جاء بفكرة التقسيم الطائفي ولا بدّ من محاربة ومقاومة هذه الفكرة بموقف وطني وليس بموقف طائفي.

* المقاومة بكل صورها: المسلحة والسلمية والسياسية هي السبيل لتحرير البلاد.

* رفض كل ما صنعه الاحتلال من عمليات سياسية، وإنشاء مؤسسات دولة؛ لأن ما بني على باطل فهو باطل.

* مشكلة العراق الكبرى هي الاحتلال الأمريكي الغربي للعراق وكل المشاكل الأخرى تؤجل إلى ما بعد إنهاء الاحتلال.

وقد قدمت الهيئة عدة طروحات ورؤى للتعاون مع البلدان العربية والإسلامية للخروج بالعراق من حالة الاحتلال، وكان لهذه الطروحات في الشارع السني بشكل

(*) باحث عراقي.

(١) نشر خطأ في العدد السابق بـ(مجلس).

خاص وعند الوطنيين من كل الأطياف والمكونات صدى جيّد.

وارتفع صوت الهيئة كمنقذ للعراق من المحتل، والتف كثير من البعثيين والقوميين والعسكريين والمقاومة المسلحة فضلا عن التيار الديني السني حولها، ولعل في كارزمية الشيخ حارث وتاريخه حافز لهذا التمحور والالتفاف. إلا أنّ المشاكل العراقية تختلف عما صنفته الهيئة وعالجته، فقراءة الهيئة لأوضاع العراق كانت قراءة تغلب عليها الأماني والتطلعات وليست قراءة واقعية، ومردّ ذلك وسببه أنه لم تكن عن دراسة بحثية علمية وشرعية لمعرفة وضع العراق وتحليله وتقديم حلول إسلامية مفصّلة، وكان من المفترض أن تكون هيئة علماء المسلمين أول من يتصدى لهذه المهمة، وفي الوقت نفسه لم تتصرف الهيئة كهيئة وطنية كبرى تكون كالأم للعراقيين، تحتوي بقية الهيئات والفصائل، بل دخلت في معارك جانبية وأصبحت طرفا فيها، فتتبنى جهة وتخوّن جهة ما وتتهم أخرى، والسبب في ذلك – حسب تقديري – أن الهيئة لم تعمل بشكل مؤسسي كما أريد لها، بل أصبحت انعكاساً لآراء أفراد محددين، مع غلبة جانب المجاملة على آرائهم.

مناقشة أفكار الهيئة:

سأركز على آراء الهيئة في المكونات العراقية ومواقفها منها بشكل بسيط يبين رؤيتها، وموقف الهيئة من قضايا التشيع وإيران، لأن تقييم دور الهيئة أمر مُتشعب وطويل.

الهيئة وحزب البعث:

بعد الاحتلال فقد حزب البعث كل شيء؛ وتعرض الحزب من قبل التيار الشيعي الديني وأحزابه وإيران إلى حرب تصفية سيما البعثيين السنة، فبعد مرور ثلاثة أشهر على الاحتلال بلغ عدد الرفاق البعثيين الذين تم تصفيتهم ٣٠٠٠ بعثي كلهم سُنّة سوى نفر عددهم أقل من العشرة من الشيعة؛ وسبّبَ هذا تشتت الحزب هنا وهناك، وبدأ الحزب يقيم علاقات مع عدة مكونات وطنية ودينية سلمية ومقاومة كي يمارس دوره من خلال هذه المكونات؛ لأن الحزب أصبح مستهدفا من الشيعة وإيران والأمريكان.

وكان من ضمن الجهات التي التصق بها البعث: هيئة علماء المسلمين لأن فكره يتناغم كثيرا مع طروحات الهيئة، ألا أنّ الحزب، وبمرور الزمن وبسبب كونه حزباً شمولياً إقصائياً لا يؤمن بالعمل إلا من خلال رؤيته فقط، حاول سحب الهيئة لناحيته ونجح نوعا ما في أن تكون الهيئة جامدة في رؤيتها للوضع في العراق.

وليس هذا استنتاجا مني فهذا كاتب الحزب صلاح المختار يقول: «نحن – كبعثيين – وأنا شخصياً أكنّ احتراما عميقا للشيخ حارث.. ولذلك فإنني أكشف سراً يعرفه قليلون في الحزب وهو أن قيادة الحزب منذ الفترة الأولى للغزو قد وجهت مناضليه من الكوادر بالتعامل مع الشيخ الضاري مثلما يتعاملون مع أي قائد بعثي كبير، وهذا ما كان يحصل كما يعرف الشيح حارث، فلقد كان الرفاق البعثيون خير عون له وخير مساند وكانوا يستقبلونه كما لو أنه أحد قادة الحزب»[1]. وقد تدهورت العلاقة مؤخرا بين الهيئة والحزب وهاجم الحزبُ الهيئة بسبب مواقف معينة، إلا أن مواقفهم مشتركة في كثير من الأمور كالصحوات والفيدرالية وغير ذلك.

موقف الهيئة من الأحزاب الشيعة:

على الرغم من أن الشيخ حارث من الشخصيات التي

(١) حوار مع شبكة «البصرة نت» نشر في (٢ آب/ أغسطس ٢٠١٠).

لهـا معرفـة جيـدة بالانحرافـات الـشيعية، وهـو مـا يظهـر في كتابـه «الإمـام الزهـري وأثـره في الـسنة»[1] ورغـم أن الهيئـة سـنية إلا أنهـا رفـضت تبنـي الموقـف الـسُني مـن الأحـداث، وتبنـت موقفـا وطنيـا عامـا؛ فـسعت مـع عـدة جبهـات دينيـة شـيعية صـغيرة مثـل جماعـة الخالـصي، والمرجـع أحمـد الحـسني البغـدادي، لتأسـيس «المـؤتمر التأسيـسي الـوطني» سـنة ٢٠٠٤م، وحاولـت الهيئـة أن تقـيم علاقـات مـع التيـار الـصدري، وأن تدخلـه للهيئـة إلا التيـار الـصدري رفـض وأبـى، وكـان الوسـيط لـذلك الخالـصي، فقـد حـاول الخالـصي مبكرا مقابلة مقتدى ولكن مقتدى رفض مقابلته[2].

أمـا الـسر وراء رغبـة الهيئـة في إقامـة علاقـات مـع مقتـدى الـصدر فهـو أن الهيئـة كانـت تـركض وراء فكـرة خياليـة مـدارها أن عـلى الـسنة البحـث عـن قائـد شـيعي نافـذ يعلـن رفـضه للاحـتلال حتـى لا تـتهم المقاومـة بأنهـا سـنية بحتـة[3]! فكانـت الهيئـة – ومـع الأسـف- مـن المـساهمين في المـساواة بـين الـشريف والوضـيع، والخـائن والـوطني، والـصعلوك والنبيـل، ولا أدري مـا الـذي دفـع الهيئـة للإقـدام عـلى ذلـك؛ هـل هـي المـصلحة الـشرعية أو الوطنيـة التـي رفـضها أهلهـا (الـشيعة) ورضـوا بـأن تكـون ظهـورهم للمحتـل كـي يمتطيهـا. وقـد حرصـت الهيئـة ومـن منطلقهـا المـسمى بـالوطني عـلى تقويـة العلاقـات مـع التيـارات الـشيعية المناهـضة للاحـتلال (زعموا).

وهكـذا أرادت الهيئـة أن تخفـي الـشمس بغربـال، فهـل يخفـى عـلى الهيئـة وعامـة أهـل العـراق، احـتلال الـشيعة لعـشرات المـساجد الـسنية في جنـوب العـراق عـام ٢٠٠٣م؟! وحمـلات التـصفية الجـسدية والاغتيـالات التـي طالـت العـشرات مـن أبنـاء أهـل الـسنة بحجـة الانـتماء لحـزب البعـث والتـي نفـذتها ميلـشيات (الـصدر- الـدعوة- بـدر) في الوسـط والجنـوب وبعـض منـاطق بغـداد، ولا نـدري هـل اغـترت الهيئـة بـما روج في الإعـلام مـن عروبـة مقتـدى الـصدر وتمـرده عـلى مرجعيـة السيـستاني وبقيـة علـماء الـشيعة غـير العـرب في كـربلاء والنجـف؟ أم هـو نـزول عنـد رغبـة الخالـصي، أم بتـأثير من تسمّيهم الهيئة بالوطنيين الشيعة؟

والعجيـب أن الـدكتور عبـد الـسلام صرّح مبكـرا – بعـد أشـهر مـن الاحـتلال- وقـال: «حافظنـا عـلى الحـد الأدنـى مـن التنـسيق مـع مقتـدى الـصدر لكنـه تغـير بعـد ذهابـه منـذ نحـو أربعـين يومـا إلى إيـران واجتماعـه بخـامنئي»[4]. ورغـم هـذا بقيـت الهيئـة تحـافظ عـلى أخـوة الـصدريين، ولـيس هـذا تجنيـا عـلى الهيئـة فقـد سـئل الـشيخ حـارث: إلى أيـن وصـلتم في العلاقة ومستوى التنسيق بينكم وبين التيار الصدري؟

فأجـاب: «هنـاك في الحقيقـة تفـاهم وانـسجام في الأفكـار وتلاقـي في الأهـداف الوطنيـة وهـذا في تقـديري أسـمى مـن أي تحـالف؛ لأن التحـالف قـد يكـون مـصلحياً، أمـا الالتقـاء في الأهـداف فإنـه لا ينبنـى عـلى مـصلحة، وإنـما يكـون مؤسـساً عـلى الأهـداف الـسديدة لكـل فريـق مـن الفرقـاء الـذين **تجمعهم**»[5].

(١) (رسالته للدكتوراة، أيلول/ سبتمبر ١٩٧٨) والتي نشرها في «منشورات مكتبة بسام» الموصل- العراق (١٩٨٥م/ ١٤٠٥هـ).

(٢) كانت المحاولة الأولى أثناء معركة النجف، والثانية كانت محاولة من الخالصي لإخباره بمخطط لاغتياله.

(٣) رغم أن الشيعة عموما أصروا على أن المقاومة في العراق هي مقاومة سُنيّة، وكان إعلامهم يبرر هذه المقاومة للأمريكان من قبل السنة على أنها محاولة من الأقلية السنية للعودة للحكم وإرجاع الدكتاتورية أو هو تحالف البعثيين مع الإسلاميين السنة، من أجل الثأر ومنع الشيعة من التمتع بحقهم في الحكم، وذلك بدعم من الدول العربية التي تخشى التجربة الديمقراطية الوليدة في العراق!!

(٤) صحيفة الشرق الأوسط ٣/ ٩/ ٢٠٠٣.

(٥) صحيفة السبيل ١٥/ ٩/ ٢٠٠٥.

وفي لقاء مع صحيفة الحياة سئل: كيف ترى التيار الصدري؟

فأجاب: «التيار الصدري تيار غير منظّم، وهو من فئات مختلفة ثقافياً واجتماعياً ومختلفة في التوجهات، لكن التيار الصدري فئات وطنية، وفيه جهات اخترقها الاحتلال ومنها ما تخترقه الآن الاستخبارات الإيرانية.

صحيفة الحياة: هل خدم التيار الصدري العراق أم ضرّه؟

حارث الضاري: أعتقد أن قيادته إذا استقامت وكانت واضحة في لهجتها «غير متغيرة» في أساليبها، فمن الممكن أن يُسهم في بناء العراق الجديد وأن يُسهم في وحدة شعبه.

صحيفة الحياة: لكن التقارير الاستخباراتية تشير إلى أن «تيار الصدر» يخدم المصالح الإيرانية، ويرتّب أوراقه مع استخباراتها، كيف تزعم بأنه ربما يخدم العراق وأن فيه فئات وطنية؟ كيف تريدنا أن نصدق هذا الكلام؟

الشيخ الضاري:أنا أعرف التيار الصدري عن كثب، فقد استُخدم في الفتنة التي أراد الاحتلال وغيره أن يجعلوها طريقاً أو باباً إلى الحرب الأهلية، استُخدم كرأس رمح، وكانت له اليد الطولى فيما حدث من جرائم وإراقة دماء، لكن هل ينطبق هذا على كل التيار الصدري؟ لا يجوز تعميم ذلك؛ لأن التيار الصدري ممتد من البصرة إلى بغداد، إلى ديالى. ليس كل التيار الصدري على نَفَس واحد، وليس كل التيار الصدري متفقاً على أعمال واحدة أو توجّهات واحدة. هناك من التيار الصدري من هو مقاوم في الجنوب، ويقاوم الاحتلال، وهناك من هو أداة بيد الاحتلال لتنفيذ أجندة طائفية، وهناك من يدرَّبون الآن خارج الحدود العراقية للقيام بما تمليه الاستخبارات الإيرانية. التيار الصدري ليس تياراً واحداً، ولذلك ينبغي أن يُنظر إليه على هذا الأساس»[1].

وإذا انتقلنا من الأب إلى الابن فيقول د.مثنى الضاري: «التيار الصدري يكاد يكون في صف القوى الوطنية المناهضة للاحتلال ثم دخل في العملية السياسية ولا يزال فيها، ثم تعرض لضربة في البصرة وقاتل القوات الحكومية، والآن يدعو إلى حماية المناطق للتعاون مع القوات الحكومية، نحن قلنا في بيان واضح بأن هذا صراع على النفوذ بين التيار الصدري والحكومة وإن كان التيار الصدري يتعرض لضربة قوية، فبالإضافة للصراع على النفوذ هناك محاولة لتصفية أي صوت معارض للاحتلال حتى وإن كان مرحلياً»[2].

ويصل الألم بالشيخ حارث حول ضرب المالكي لميليشيا جيش المهدي فيقول: «لا تستحق هذه الجولة اسم (صولة الفرسان) والأنسب لها أن تسمّى (جولة الأحزان) لأنها خلفت الكثير من الأحزان على أهل البصرة وغيرهم من أهل الجنوب»[3].

ويقول في لقاء آخر: «قد انحاز إلى التيار الصدري كل الحانقين والحاقدين من أبناء العشائر وغيرهم على الحكومة لسوء أدائها وأذاها لأهل الجنوب وغيرهم وعلى المجلس الأعلى وعلى جناحه العسكري «بالذات» المسمى بـ «بدر»، لما قامت به من ممارسات إجرامية ضد أبناء الجنوب وغيرهم مما تسبب فيما يجري الآن من أعمال اقتتال ومداهمات في البصرة وفي كثير من محافظات الجنوب والوسط وأدى إلى إزهاق أرواح المئات إن لم نقل الآلاف من أبناء الجنوب الذين لا حول

(١) صحيفة الحياة ٩/ ١/ ٢٠٠٨.

(٢) حوار مع صحيفة التجديد المغربية ٧/ ٧/ ٢٠٠٨.

(٣) حوار مع وكالة يقين للأنباء ٤/ ٢٠٠٨.

لهم ولا قوة»[1].

ويقول الشيخ الدكتور وبعد مذابح جيش المهدي بعد تفجير المرقدين: «المقاومة تعمل في أنحاء العراق كافة وغير صحيح أنها منحصرة في المناطق السنية ونحن يومياً نسمع عمليات في مدينة الصدر ومناطق شيعية أخرى»[2].

وهذا الثناء والدفاع عن جيش المهدي في الحقيقة هو خطأ كبير وتضليل وخداع للعراقيين والعرب، ويتضح هذا بالتذكير بحقيقة التيار الصدري وجيش المهدي:

– أسس «مقتدى الصدر» جيش المهدي في ٧/ ٢٠٠٣ ليكون جيشاً عقائدياً لحماية الشيعة والمذهب ومقدساته، وكان واضحاً من البداية ومن اسمه بأن جيش الصدر جُهّز وشُكّل لضرب أهل السنة.

– الصدريون هم الذين رفعوا إبراهيم الجعفري ونوري المالكي إلى منصب «رئاسة الوزراء» وأيدوهما ونصروهما، وهم الذين هيمنوا على الأجهزة الأمنية منذ عهد الوزير الشيعي المجرم «باقر صولاغ»، وقلما تجد شيعيا في الجيش وأجهزة وزارة الداخلية لا يدين بالولاء لآل الصدر.

– هم من أسكت الأذان ومنع الصلاة وأعلى منار الشرك وجاهروا بسب الذات الإلهية وسب الصحابة وإهانة أهل السنة في بغداد.

– هم المنفذ الفعلي لمخطط تشييع بغداد وهم اليد الإيرانية الضاربة.

– أليست التجمعات الصدرية في العاصمة (الحرية والكاظمية والشعلة ومدينة الثورة ومناطق شرق القناة والحسينية وأبو دشير وحي العامل والبياع وغيرها) هي مراكز الشر وبؤر الفساد في العاصمة المنكوبة.

– من الذي كان يستعرض قواته في الشوارع في وضح النهار ويتوعد أهل السنة بالويل والعذاب الأليم، تحت سمع وبصر الأميركان لأنهم أمّنوهم على أنفسهم وأرتالهم وقواعدهم؟

هذا الدفاع عن جيش المهدى والتيار الصدري أزعج المقاومة العراقية فذكروا عتبا على الهيئة وغيرها: «نطالب المدافعين عن هذا التيار بأن يكفوا عن تلميع صورته، وأن لا يساهموا في تزوير التاريخ، وليتق الله تعالى من يصف التيار الصدري بالمقاومة فإنه لا يريد ذلك ولم يكن في يوم من الأيام مقاوماً، وإنما منافساً لقوات بدر على النفوذ والمال والسلطة وحسب، وكل ما ظهر من قتال وخاصة في الأشهر المنصرمة يدور في هذا الفلك ولا علاقة له بالمقاومة البتة. ولو كان هذا التيار مقاومة فهل المساجد المغتصبة هي مساجد الاحتلال؟ أم أن تلك المساجد انطلقت منها مقاومة الاحتلال؟ ولمَ قتل السنة الأبرياء؟ ولمَ إشغال المقاومة السنية بالدفاع عن أرواح الناس**!!** وممتلكاتهم وديارهم لرد هجمات جيش المهدي؟ ولمَ لم يترك المقاومة لتضرب الأمريكيين بأقصى قوة؟»[3].

وهذه جهة أخرى للمقاومة تقول: «إن الصراع الحالي بين مقتدى وأتباعه من جهة وبين المالكي وباقي مكونات الائتلاف الشيعي من جهة ثانية هو صراع على النفوذ والسلطة والنفط والأموال في مناطق الوسط والجنوب، وليس موجهاً ضد المحتل في أي حال من الأحوال، وقد احتدم هذا الصراع بعد إقرار قانون المحافظات وبدء العد العكسي لانتخاباتها فهيمنت الأطماع الحزبية والفئوية لكلا الطرفين، وبالتالي فإن تسويق الأزمة الحالية على أنها

---

(١) حوار مع موقع الحملة العالمية لمقاومة العدوان «قاوم» ٤/ ٢٠٠٨.

(٢) حوار مع مجلة الوطن العربي الأربعاء ٦/ ١٢/ ٢٠٠٦، العدد (١٥٥٣).

(٣) بيان للجيش الإسلامي بعنوان (متى كان ومتى لم يكن) بتاريخ ١٦/ ٨/ ٢٠٠٨.

«معركة مقاومة ضد احتلال «هو ضرب من الدجل والزيف، ويسعى بذلك هؤلاء المطبلون لفك عزلتهم واستمالة الشارع العراقي والعربي والإسلامي نحوهم والتغطية على جرائمهم السابقة والحالية بحق العراق وشعبه»[1].

لقد كانت المقاومة بكل أصنافها أوعى بعشرات المرات من الهيئة وقياداتها في فهم الواقع العراقي، ولم تضلل الرأي العام العربي والإسلامي بحقيقة هذه الكيانات الشيعية.

ومن جانب آخر كابرت الهيئة ورفضت الاعتراف بالمجرم الحقيقي الذي مارس بشكل حقيقي القتل ضد أهل السنة، وروجت بأن الصراع الدامي هو خلاف سياسي بحت وليس طائفياً مذهبياً كما يسمونه، رغم أن الفاعل الحقيقي تيارات شيعية عراقية وبتحريض إيراني.

ومؤلم أن أردنيا يصرح بهذه الحقيقة وهيئة عراقية سنية تكابر بذلك، فهذا وزير الإعلام الأردني الأسبق صالح القلاب يقول: «الأكثر غرابة بالنسبة للمأساة العراقية التي تزداد تفاقماً يوما بعد يوم أن بعض القريبين منها وبعض الذين يتعاطون معها عن قرب أو عن بعد يرفضون الاعتراف بالحقيقة وهم يحاولون التحايل على الواقع المؤلم ورش السكر على الموت - كما يقال- فالحرب الأهلية التي تحصد يومياً أرواح العشرات والمئات من الأبرياء والأطفال والنساء.. لا تزال توصف بأنها أزمة سياسية يعتبرها بعض المتفائلين أكثر من اللزوم أنها عابرة، حتى السيد حارث الضاري يرفض الاعتراف بأن هذه الحرب القذرة التي تدور رحاها في العراق حرباً طائفية ومذهبية وهو يصفها بأنها حرب سياسية..»[2].

بينما يصرح الشيخ الدكتور حارث الضاري وصحفيه جاسم الشمري لصحيفة السبيل الأردنية التي لا تريد أن تنظر إلى الحدث العراقي إلا بعيون الهيئة: «لا توجد أصلا حرب أهلية في العراق منذ البداية، وإنما كانت - ولا تزال - فتنا يؤججها الاحتلال، وحلفاؤه بين آونة وأخرى، لإيقاع الفتنة بين أبناء الشعب العراقي، وإشغاله عن مشاريعه، ومشاريع حلفائه في العراق»[3].

ويظل الضاري ينكر الشمس في رابعة النهار فيقول في سنة ٢٠٠٩م في لقاء مع موقع (لواء الشريعة) عندما يُسأل: هل الاستهداف الطائفي لسنة العراق على أيدي الميليشيات مستمر؟ وهل استطاعت هذه الميليشيات أن تحقق أحلامها في تهجير السنَّة من بغداد وبعض المناطق الأخرى؟

فيجيب: هذا الأمر قد انتهى والحمد لله، التصفيات الطائفية كانت تصفيات سياسية أُلبست ثوب الطائفية السياسية؛ إذْ لم يكن هناك من البداية تصفيات طائفية بالمعنى المذهبي؛ أي الشيعة والسنة مثلًا، وهذا قد قلناه مرارًا على مدى السنين الماضية، وقد أكدت ذلك الأحداث؛ فكل ما حدث في العراق من فتنة أُلبست ثوبًا طائفيًّا فهي فتنة سياسية كان وراءها الاحتلال وحلفاؤه الحاكمون»[4].

وسؤالي للشيخ: هل بلغك أيها الشيخ المكرم نبأ الجثث السنية المكدسة في الشوارع وفي معهد الطب

(١) بيان للجبهة الإسلامية للمقاومة العراقية «جامع» (تنظيم إخواني) حول تصريحات مقتدى الصدر (٣٠/ ٣/ ٢٠٠٨).

(٢) مقال (لا نهاية للحرب الأهلية قبل الاعتراف بوجودها) صحيفة الشرق الأوسط (٣٠/ ١١/ ٢٠٠٦).

(٣) حوار مع صحيفة السبيل الأردنية ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٥.

(٤) حوار مع موقع لواء الشريعة، نُشر على موقع الهيئة ١٣/ ٥/ ٢٠٠٩.

العـدلي؟ أم خفـي عنـك مـشاهد المـساجد المهدمـة والمنـازل المهجـورة؟ أم غفـل عنـك أكثـر مـن مليـون سـني في سـوريا ومـثلهم في الأردن ومـصر وأمثـالهم داخـل العـراق حتـى تقـول: (هـذا الأمـر قـد انتهـى والحمـد لله، التـصفيات الطائفية)؟

موقف الهيئة من الخطر الإيراني:

تـستمر الهيئـة في التهـرب وتوصـيف الأشـياء بغـير مـسمياتها الواقعيـة مـن أجـل ظنـون موجـودة في أذهـانهم ولـيس لهـا وجـود في الواقـع الحقيقـي، ومـن ذلـك محاولاتهـا التهـوين والتـصغير مـن التغلغـل الإيـراني في الـشأن العراقـي، هـذا الخطـر الـذي وصـل لحد اعتبـاره احتلالا آخـر للعـراق مـع الاحـتلال الأمريكـي، لكـن نظريـة الهيئـة تجاهـه تقـوم عـلى أسس خاطئة هي:

١- اعتبـار التـدخل الإيـراني أمـراً ثانويـاً يـرتبط زوالـه بـزوال المحتـل الأمريكـي، وأنـه خطـر ثـانوي بـسيط يعمـل في ظـل المحتـل الأصـل (الأمريكـي) فـإن زال الأصـل ذهـب الظل.

٢- افتعـال وجـود فئـات وطنيـة شـيعية والـترويج الواسـع لهـا، وأنهـا هـي مـن سـتطرد الوجـود الإيـراني بعـد الانـسحاب الأمريكي من العراق.

نعـم فـتح الأمريكـان البـاب لإيـران بعـد الاحـتلال لا ينكـر هـذا أحـد، وكـان الأمريكـان يظنـون أن بمقـدورهم الـتحكم في التـدخل الإيـراني في العـراق، لكـن أدوات الإيـرانيين في العـراق كانـت أقـوى مـن ظنـون الأمريكـان، بفعـل عـاملي الجغرافيـا والمـذهب الـشيعي المـشترك، فلـماذا هـذا الإنكـار للحقائق!

أدركـت المقاومـة العراقيـة الواقـع في العـراق فكتبـت قائلـة: «لقـد سرقـت الإدارة الأمريكيـة مـن جيـوب شعبها ومـن أمـوال المـسلمين أكثـر مـن نـصف تريليـون دولار لتبـدده في حـرق أرض العـراق وقتـل شـعبه، ولترجـع إلى شـعبها الغافـل أو المغفـل بـآلاف القـتلى وعـشرات آلاف الجرحـى، وأكاذيـب لا تنتهـي وخطـط واسـتراتيجيات خائبـة.. ولتـسلّم إدارة الحـرب في العـراق والمنطقـة إلى المـارد المجـوسي الفـارسي عـلى طبـق مـن ذهـب، حتـى لم تعـد أمريكـا قـادرة عـلى حـل مـشكلة في بغـداد إلا بالتفـاوض مـع صـناع القـرار الإيراني جهارا نهارا،..

نعـم لقـد حقـق بـوش نجاحـا بـاهرا للاسـتراتيجية الإيرانيـة المجوسـية، ولم تعـد المنطقـة في مرمـى حجـر بالنـسبة للإيـرانيين بـل أصـبحت غنيمـة بـاردة وفريـسة سـهلة لهـم، فالـسعودية في أخـدود المكـر المجـوسي، والبحـرين تابعـة لإيـران كـما صرح مستـشار الحاخـام خـامنئي قبـل أيـام، وأمـراء الكويـت يبيعـون حصـصهم مـن الـشركات والأراضي لينفـذوا بجلـودهم بعـد تهريـب الأمـوال، وأمـا جـزر الإمـارات فقـد صـفا عليهـا المـاء، وأصـبحت إيـران تلعـب بـالأوراق كـيفما تريـد فأياديهـا القـذرة في العـراق توقـد الفـتن حسب توقيتـات الـسنة المجوسـية والمـصلحة الإيرانيـة، والتـي تقـوت بأمريكـا وحلفائهـا، وأصـبحت بغـداد والمحافظـات الجنوبيـة مرتعـا للمخابرات الإيرانية وملاذاً للحرس الثوري»[1].

لقـد عـرف القـاصي والـداني الخطـر الإيـراني في العـراق إلا الهيئـة، وهـاك أقوالهـا عـن هـذا الخطـر: الـشيخ الـدكتور حـارث الـضاري: «المـشروع الإيـراني مـشروع هزيـل في العـراق ولـيس قويـاً، كـما يعتقـد العـرب وغـيرهم وأن المـشروع الإيـراني يعتمـد عـلى حلفائـه في العـراق وهـم بـدورهم يعتمـدون عـلى وجـود الاحـتلال في العـراق وأن

(١) رسالة من أمير الجيش الإسلامي في العراق إلى الشعب الأمريكي والعرب، بتاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠٠٧.

المشكلة تكمن في الاحتلال باعتباره مظلة التدخل الإيراني والإسرائيلي والتدخلات الأخرى التي لم تكن موجودة في العراق إلا بعد مجيء الاحتلال وأن التدخل الإيراني باقٍ ما بقي الاحتلال الأمريكي وأنه بمجرد رحيل الاحتلال سيخرج الإيرانيون من العراق على يد أبناء العراق الذين استطاعوا ملاكمة الثور الأكبر والقوة الأعظم وباستطاعتهم ملاكمة أي متدخل آخر ودحره من العراق، سواء الإيرانيون أو غيرهم إذا لم ينسحبوا ويحترموا حق الجوار»[1].

هذا رأي الأب فيما يعطينا الابن (مثنى) تحليلا جميلا لما حدث: «الاحتلال الامريكي بدأ بأخذ النصيحة البريطانية وبدأ يشد ويرخي مع كل الأطراف وهكذا أخذ بسياسة فرق تسد، ثم نشأ مقترح لإحدى دوائر البحث الأمريكية أن تنشأ مجالس أو قوى مساندة للاحتلال الأمريكي، بالاستعانة ببعض أبناء البلد ضد المقاومة من خلال استغلال بعض الخلافات وتنميتها، القاعدة طبعا قدمت للاحتلال الذريعة لأنها أساءت للعراقيين ووقعت في أخطاء كبيرة جدا شوهت صورة المقاومة واستغل الاحتلال هذه الفرصة وبدأ بترويج الفكرة أن الخطر الأكبر هو هذه الفصائل الإرهابية (القاعدة) وبالإمكان التفاهم مع الفصائل الأخرى إذا هادنتها ووجهت سلاحها إلى العدو المشترك وهي إيران»[2].

أما محمد بشار الفيضي وقد سئل: هناك من يقول إن الخطر الإيراني أكبر من الخطر الأمريكي؟ فأجاب: نحن لا نؤيد هذا الطرح، وهذا في الأساس طرح أمريكي،.. وأنا أذكر أنه في عهد زلماي زادة جاءنا من يروج لهذه الفكرة، وقالوا: لماذا لا نتفق على ترك الأمريكيين وننشغل بالإيرانيين والميليشيات، وقالوا: إن لديهم ضمانات من الأمريكيين بدعمنا لتحقيق هذا الهدف وتحدثوا معنا بطريقة فهمنا منها أن هذا عرض من السفير الأمريكي، ولكننا قلنا لهم إن النفوذ الإيراني تدخل في ظل أمريكا، وبإذن منها، والميليشيات عملت في ظلها، وبمباركة منها أيضا، فهي مشكلتنا الأولى، ولن نجر إلى صراعات جانبية. نحن نعتقد أن العدو ذا الأولوية هو المحتل الأمريكي، وأن وجودهم أساس البلاء في العراق، فهو الذي فتح المجال أمام التدخل الإيراني وغيره.

محمد بشار الفيضي: نحن لا نعتقد أن التغلغل الإيراني بعد الانسحاب الأمريكي، سيتنامى، بل على العكس سيتناقص بشكل سريع، لأن إيران متغلغلة الآن من خلال عناوين يحميها الاحتلال، مثل أجهزة الجيش والشرطة، والأحزاب السياسية المعروفة، فإذا خرج الاحتلال، سيخرج معه هؤلاء، وينكشف الوضع ولا تبقى لإيران أغطية للتدخل، فتضطر إذا أرادت التدخل إلى العمل بعلانية، وهذا من دون شك سيكلفها غاليا»[3].

أما الدكتور عبد السلام الكبيسي فيقول: «بخصوص المشروع الإيراني، فإن الجسم العراقي يحمل مناعة كاملة ضده وأول الرافضين له هم الشيعة»[4]. ونقول: سبحانك ربي هذا بهتان عظيم!!

التعويل على شيعة العراق والثناء عليهم:

يقول الشيخ الدكتور حارث الضاري بذلك: «العلاقة بين السنة والشيعة وطيدة جدا على مدى التاريخ، ولقد تأكدت في هذه الأيام حين تنادى العراقيون من سنة وشيعة لنصرة إخوانهم

(١) صحيفة الشرق القطرية ١٩/ ٦/ ٢٠١٠.

(٢) حوار مع صحيفة الشرق القطرية، وأعاد نشرها بتاريخ ١٥/ ٧/ ٢٠١٠ موقع http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=394779..

(٣) حوار مع موقع رسالة الإسلام ٣/ ٢٠٠٨.

(٤) حوار مع موقع رسالة الإسلام ٧/ ٢/ ٢٠١٠.

في الفلوجة والكوفة والنجف وكربلاء وغيرها من المدن العراقية، فامتزجت عواطف الجميع بعضها ببعض كما امتزجت دموعهم على ما حدث في هذه المدن وما يحدث، ولقد تعاونوا تعاونا أذهل الكثير من الذين كانوا يراهنون على الخلاف بين السنة والشيعة؛ ليقضوا من خلال ذلك مصالحهم التي بنوها على هذا الخلاف الوهمي والذي سعوا جاهدين لتوسيعه ولكن الحمد لله باءت مساعيهم بالفشل، بل خيب أبناء العراق من كل المذاهب هذه الأوهام، بل رأيت بعيني حين جاءوا إلى هيئة علماء المسلمين متبرعين بأموالهم ومنهم من يبكي ويقول دلوني على الطريق لأذهب وأقاتل مع إخواني في الفلوجة بل أكثر من ذلك تسابق المسيحيون إلى التبرع وإغاثة إخوانهم المتضررين في المدن المنكوبة»[1] ، ولربما يقال: أن هذا كان إبان معركة الفلوجة وكان حسن الظن غالبا على الشيخ الدكتور فما بال ولده الدكتور مثنى إذ يقول بعد أربع سنين: حول إذا ما تدخلت ايران عسكريا بعد الانسحاب الأمريكي «إنني أعتقد أن المحافظات الجنوبية ستثور على الوجود الإيراني قبل أن تثور المحافظات الأخرى»[2].

والسؤال: من يقتل ويعتقل اليوم ليسوا الأمريكان إنهم الجيش والشرطة القادمون من جنوب العراق وكلهم شيعة ١٠٠٪، وهذه النخب الشيعية المتطرفة أليس ملايين الشيعة هم من انتخبهم وقدمهم على غيرهم، أليس المجرمون الطائفيون اليوم في العراق هم من عشائر (اللامي والموسوي والساعدي والخزعلي والخفاجي والأعرجي والخزاعي والسوداني.. الخ) وهل هذه إلا أسماء لعشائر الجنوب والوسط الشيعية، وفي بغداد من يحتضن الميليشيات؟ أليست المناطق الشيعية (الحرية والشعلة والبياع والثورة والأمين والكاظمية). ولماذا تعد النجف وكربلاء أكثر المحافظات أمناً للأميركيين[3]؟! بل من المحزن أن الصحفي المقرب للهيئة وليد الزبيدي يقول في جريدة الهيئة «البصائر»: «وأنا واثق إن ٨٠٪ من هذه الأجهزة مهما قيل عنها، إذا جاءتها قيادات وطنية حقيقية ستحمي المواطن ولن تكون ضده وبالتالي هنا تبدأ صورة الحل»[4].

وكان الدكتور يتهرب من الأسئلة عن إيران فعندما سئل: هل حققت إيران الآن ما لم تحققه من خلال حرب الثمان سنوات أو أنها في طريقها إلى تحقيق ذلك؟ أجاب الشيخ «اعذرني عن عدم الكلام في هذا الموضوع، لأنه استخدم سياسياً من قبل أطراف، وليس في كلامنا عنه في هذه المرحلة مصلحة»[5].

ويبدو منه نوع تعاطف مع إيران فعندما سئل: عن ضرب أمريكا لإيران قال: «أنا شخصيا لا أتوقع ضربة لإيران من أمريكا ما دامت أمريكا متورطة في العراق وأفغانستان، هذا أولا، ثانياً لا أتمناها من قلبي لإيران ولا لغيرها من الدول العربية والإسلامية أن تضرب وتؤذى لأن الأذى سيعود أول ما يعود على الشعوب، والشعب الإيراني شعب مسلم وجار وصديق»[6] ، ونقول: أليس من سنن الله الكونية أن يضرب الظالمين بالظالمين!! فلماذا لا تتمنى ذلك أيها الشيخ الفاضل وقد فعلوا بالعراق ما فعلوا!

ويكابر أكثر حين سئل عن الدور الصفوي فقال: «أنا لم أتكلم عن مشروع صفوي أو إيراني، وإنما قلت هناك تدخلات إيرانية واضحة من خلال وجود عناصر مخابراتها المنبثين في الكثير من أنحاء العراق، لا سيما في الجنوب،.. ولم أتكلم أنا سابقاً ولا لاحقاً عن مشروع، لأن معالم ذلك لم تتضح، لكن الإعلام درج على التعبير عن التدخل الإيراني بوصفه بـ«المشروع الإيراني»، أو بـ«الأهداف الإيرانية في العراق»[7].

وعندما أُعدم صدام سئل عن الدور الإيراني فقال: «أنا في هذه القضية لا أريد أن أدخل إيران أو غيرها في هذا الموضوع، أنا

(١) صحيفة الشرق الاوسط ٣/ ٥/ ٢٠٠٤.

(٢) حوار مع جريدة التجديد المغربية، ٧/ ٧/ ٢٠٠٨.

(٣) مقال (Why Najaf matters in post-war Iraq?) للكاتب مايكل روبين/ الواشنطن بوست (٢٧/ ٨/ ٢٠١٠)

(٤) حوار مع صحيفة البصائر ٩/ ٢٠٠٧.

(٥) (مجلة الحقائق) ١/ ١٢/ ٢٠٠٥.

(٦) وذلك في تصريحات لصحيفة الحقيقة الدولية ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٧.

(٧) حوار مع صحيفة الخبر الجزائرية ٣/ ٢٠٠٧.

أحمل الاحتلال وبالذات بوش، لأن بوش هو الذي أعدم صدام حسين وهو مصمم على إعدامه منذ لحظة احتلال العراق.. (الهتافات الطائفية) أؤكد إن الفئة التي ألحّت على إعدام صدام والتي نفذت هذا الإعدام بصورته التي رآها العالم لا تمثل الشيعة»[1].

الهيئة ورفض القضية السنية وخلط الأوراق:

لقد ظُلم السنة في العراق حين اعتبر كثير من العرب الهيئة ممثلا للسنة وناطقةً باسمهم، فخطاب الهيئة في قضية سنة العراق -الذين همشهم الاحتلال- خطاب سلبي، هو في حقيقته خطاب مساند للموقف الإيراني- من حيث لا يعلم- حيث يقوم خطاب الهيئة على اعتبار العراق نسيجاً متجانساً وأن الاحتلال الأمريكي هو من دمّره! يقول نجل الشيخ الدكتور حارث: «نحن نقع في خطأ عندما نقول الصف السني والصف الشيعي والكردي، هناك صف وطني ضد الاحتلال وصفٌّ مع الاحتلال ودخل العملية السياسية، لذلك معيارنا مع الجميع وجبهة التوافق وإن كانت سنية، هو المعيار الذي نحاكم به العملية السياسية في ظل الاحتلال»[2]. ويقول محمد بشار الفيضي: «نحن لا نفرّق بين سنة وشيعة وعرب وأكراد، هؤلاء وغيرهم جميعًا عراقيون، وكلهم في المعاناة سواء، قد تختلف درجة المعاناة من مكون إلى آخر، لكن بالمحصلة الجميع يرزح تحت الاحتلال»[3]. فهل هذا صحيح؟ هل العرب السنة في معاناتهم مثل الأكراد السنة؟ ما لكم كيف تحكمون؟ ألم أقل إن الهيئة لا تعبر عن الواقع ولكن تعبر عما يتمنى أعضاؤها!!

ويمارس الدكتور عبد السلام الكبيسي أشد أنواع التدليس والتلبيس على العرب فيقول: «عندما حضر مفتي غزة الأستاذ الشيخ (تيسير التميمي) ورأى الطيف العراقي مجتمعاً بشيعته وسنته بمسيحييه ومسلميه بأكراده وعربه[4] أراد أن يبدي إعجابه بهذا الجمع وطلب طلباً بسيطاً وقال: إن إخوانكم الفلسطينيين في العراق قتل منهم مائتان فهناك المطاردات للفلسطينيين وما يحصل لهم من مجازر في بلدهم.

فما كان لممثل أحد المكونات السياسية وهي أكبر تجمع في العراق إلا أن سب هؤلاء الفلسطينيين ويقول بصريح العبارة: (إن هؤلاء قتلة ومجرمون وأن حقهم قد أتاهم)، فعندما اعترضت على كلامه وقلت: بأنه خطير، قال: (لا هذا ليس كلاماً خطيراً، بل إن كل عربي موجود في العراق يجب قتله)، ثم قال الدكتور الكبيسي فقلت له: إذن إن كل فتاوى قتل السنة والشيعة من ورائكم»[5].

أرأيت كيف تنعكس الآراء عند الكبيسي، فما دخل فتاوى قتل الشيعة بقتل الفلسطينيين؟ أم هو التنصل من مظلومية السنة والتشويش على قضيتهم وتذويبها في بوتقة الوطنية المقدسة أمر من المقدمات التي عاشت في ظلاله الهيئة؟

ونقول للهيئة كما قال الله تعالى: (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أمّن يكون عليهم وكيلاً).

لقد ساهم هذا النموذج الثاني للسنّة في تشويه القضية السنية في العراق، وها هو اليوم يخرج الاحتلال الأمريكي، فماذا ستقول الهيئة الآن للجمهور العراقي؟ بعد أن تكونت دولة شيعية تملك أكثر من مليون رجل أمني من جيش وشرطة، فهل سيقوم الشيعة والسنة بالتخلص منها بأشهر كما ذكر ذلك مراراً الشيخ الدكتور؟ وإن لم يقع ما يحلم به الشيخ الدكتور فما هو العمل؟ هل نستسلم للديكتاتورية الشيعية بحجة الوطنية المزعومة؟

وهل سيعتزل الضاري ومجموعته العمل السياسي حينئذٍ حتى لا يجلبوا للسنة في العراق كارثة جديدة؟

---

(١) صحيفة المدينة السعودية، مطلع ٢٠٠٧.

(٢) حوار مع صحيفة الشرق القطرية ٦/ ٢٠٠٨.

(٣) موقع (إخوان أون لاين) ٤/ ٢٠٠٩.

(٤) وذلك خلال مؤتمر الأديان من أجل السلام في اليابان (٢٦-٢٩/ ٨/ ٢٠٠٦).

(٥) حوار جريدة البصائر وموقع الهيئة نت مع عبد السلام الكبيسي رئيس وفد الهيئة إلى اليابان.

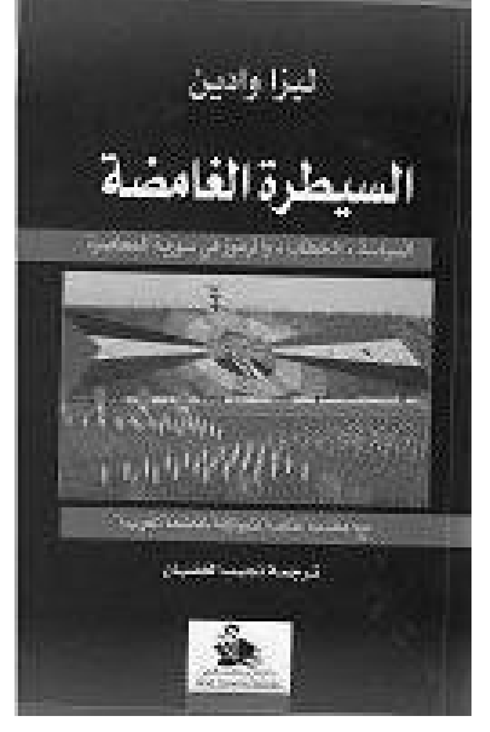


«السيطرة الغامضة: السياسة، الخطاب والرموز في سورية المعاصرة»

ليزا وادين - ترجمة د. نجيب الغضبان - خاص بالراصد

صدر هذا الكتاب بداية باللغة الإنكليزية عام ١٩٩٩، ولم تخرج ترجمته العربية إلا في عام ٢٠١٠، وهو في الأصل رسالة لنيل درجة دكتوراة، يقول مترجم الكتاب د. نجيب الغضبان في مقدمته: (كنت قد اطلعت عليه بعد أشهر من صدوره، ومن لحظة إتمامي لقراءته، تبادرت لي فكرة ترجمته للغة العربية، حتى يتسنى للقارئ العربي متابعة أمثال هذه الدراسات الأكاديمية الرصينة حول واحدة من أهم الظواهر السياسية في عالمنا العربي المعاصر، وهي ظاهرة تقديس الفرد الحاكم). وينبه المترجم إلى أنه رغم (أن الكتاب يركز على فترة حافظ الأسد، إلا أنه ينطبق، إلى حد كبير، على نظام إبنه بشار الأسد)، وهو ما ثبت للجميع من خلال التزام بشار بسياسة أبيه القائمة على القمع والإجرام بحق الشعب السوري المطالب بالحرية والكرامة.

تقوم فكرة الكتاب على دراسة ظاهرة تمجيد الحاكم «حافظ الأسد» من خلال العروض والخطاب البلاغي والشعارات الرسمية، ومدى تقبل أو مقاومة الشعب السوري لهذه الطروحات المفروضة عليه من خلال الأساليب نفسها، كالتلاعب بالخطاب والبلاغة والأعمال الفنية، والكوميديا، ورسوم الكاريكاتير.



اللافت للنظر إدراك الباحثة أن الشعب السوري رغم إذعانه قسراً لأوامر السلطة في المشاركة بالمظاهرات والاستعراضات المؤيدة للنظام وترديد الشعارات الفارغة والداعمة له حفاظاً على نفسه وسلامته، إلا أن غالبية الشعب السوري كان يدرك مدى بشاعة هذا النظام

الديكتاتوري، وهو ما تشهده الميادين والساحات العامة في سوريا طيلة الأشهر الماضية والتي عبر فيها الشعب عن مشاعره تجاه هذا النظام المتسلط. وتورد الباحثة عدداً من الأمثلة على مقاومة الشارع السوري لهذا الخطاب الرسمي «فالصحف اليومية الرسمية في سوريا تعتبر من الناحية الوظيفية أغطية موائد (...)، فقد ذكر مثلا أن صحيفة (الثورة) قد انخفضت مبيعاتها بنسبة ٣٥ في المئة عندما تم توقيف رسام الكاريكاتير المستقل والساخر السياسي علي فرزات عن العمل. كما أن الأعمال الكوميدية والأفلام تسخر من الخطاب الرسمي، وتستشري النكات الممنوعة حول ظاهرة تقديس الحاكم. ويتذمر المواطنون من مختلف الطبقات الاجتماعية والخلفيات الدينية من الإسراف المالي الذي يهدر لتسويق عظمة الرئيس».

وتورد الباحثة مثالاً آخر على رفض الشعب السوري للنظام القائم من خلال إطلاق النكات على النظام ومنها: أنه دخل الرؤساء بوش وغورباتشوف والأسد في مسابقة يحمل حارس بوش الشخصي رئيسه حتى يصل إلى نهر فيه تماسيح، فيرفض الحارس عبور النهر وهو حامل لبوش على كتفه، ويقول: «عندي أولاد ومسؤوليات عائلية سيدي»، فيعودان أدراجهما. ويحمل حارس غورباتشوف الشخصي رئيسه حتى النهر ويرفض عبوره بنفس الحجة، «عندي أولاد ومسؤوليات عائلية، سيدي». ويعود الإثنان. وأخيراً يحمل حارس الأسد الشخصي رئيسه، وعندما يصل إلى النهر، يعبره مسرعاً وهو يتفادى التماسيح، فيصعق الحارسان الآخران لتفاني حارس الأسد الشخصي، فيسألانه: كيف فعلت ذلك؟، فيجيب: «عندي أولاد ومسؤوليات عائلية»!

ركزت ليزا وادين على تحليل ظاهرة تقديس الحاكم، من خلال دراسة الخطاب الإعلامي وتعميم رموز السلطة في كل مكان كالصور والتماثيل الضخمة لحافظ الأسد في كل مكان، وأنها أصبحت استراتيجية للحصول على السيطرة عبر المطاوعة وليس الشرعية، فتقول: «يصوّر حافظ الأسد في الخطاب السياسي السوري المعاصر، عموماً على أنه حاضر في كل مكان وأنه عالم بكل شيء. يظهر الأسد من خلال الصور المنشورة في الصحف بصورة «الأب»، و«المناضل»، و«المعلم الأول»، و«منقذ لبنان»، و«القائد للأبد»، و«الفارس الشهم»- في إشارة الى أنه صلاح الدين الأيوبي المعاصر (...)». وتقول أيضاً:«إن

الأيقونات ذات الصبغة الدينية والشعارات التي تزين جدران الأبنية، ونوافذ السيارات، وأبواب المطاعم، كلها تشهد بخلوده. وبتأثير قوة التكرار، فكل مواطن متمرس على هذا الخطاب الرمزي في الدولة السورية، وتشكل هذه الحالة إحدى العلامات المميزة للنظام الأسدي».

وأطلقت على هذه الظاهرة أوصاف (أصبح الأسد مثل الإله) وأن هناك ممارسات من السلطة ترسخ هذا المفهوم كاستعمال كلمة (بايعناك) وهي مصطلح سياسي إسلامي لا ينتمي للخطاب البعثي العلماني!! وأيضاً توقيع هذه البيعات للأسد بالدم!!

وهذا التقديس وإصباغ الألوهية على الأسد تعاملت معه الباحثة من منظور علماني ولم تنتبه إلى طبيعة الأسد الثنائية علماني/ طائفي، وهو ما تكشف في الثورة السورية من خلال تصريح أعوانه وشبيحة بشار الأسد بعبادة وألوهية بشار، وإجبار المتظاهرين على التصريح بألوهية بشار الأسد وأخيه ماهر، ومعلوم أن عقيدة العلويين تؤمن بألوهية علي بن أبي طالب وتناسخ الأرواح، ولذلك فعبادة حافظ الأسد ومن ثم ابنه بشار أمر شائع بين العلويين، لكنهم قلما يصرحون به.

لقد أثبتت الباحثة عجزها عن فهم مصدر وبداية ظاهرة تقديس الأسد لشخصه وليس بوصفه قائد حزب البعث، إذ تعددت الآراء فبعضهم يعتقد أن الأسد شخصياً هو من ابتدع ظاهرة التقديس بعد سنوات من وصوله إلى السلطة، على الرغم من معارضة جورج صدقني، وزير إعلامه من أيلول/ سبتمبر ١٩٧٣ إلى أيلول ١٩٧٤.

أما الكاتب البريطاني باتريك سيل، فيرى أن أحمد اسكندر أحمد وزير الإعلام الأسبق (ت ١٩٨٣) هو من اخترع ظاهرة تعظيم الأسد حتى يحرف انتباه السوريين عن المشاكل الاقتصادية ومجزرة حماة.

أما يحيى سادوسكي، فيرى أن سياسة التكريم المبالغ فيه للأسد أصبحت جزءاً من استراتيجية تعبئة الجماهير منذ بداية عام ١٩٨٢، للتغطية على مجزرة حماة وتراجع أسعار النفط الحاد، فضلاً عن الغزو الإسرائيلي للبنان في ٤ حزيران/ يونيو ١٩٨٢. ويرد كاتب آخر مختص بالشأن السوري (روبرت سكات ماسون) بدايات الظاهرة إلى النوبة القلبية التي أصابت الأسد في ١٩٨٥ والتحديات التي تعرض لها النظام من قبل رفعت الأسد شقيق حافظ.

وهذا التناقض سببه تغييب البعد الطائفي للأسد والذي ظهر الآن بوضوح في قمع الثورة السورية.

الموجة القادمة من الغرب!!

قالوا: «وسط سبعة وأربعين من أعضاء مجلس حقوق الإنسان، وقفت هيلاري كلينتون وزيرة خارجية الولايات المتحدة في مقر الأمم المتحدة في جنيف، لتدعو بصوت واضح لا يشوبه أي تردد، إلى إنهاء التمييز ضد المثليين في مختلف أنحاء العالم، ولتعلن عن التزام الولايات المتحدة بتخصيص ثلاثة ملايين دولار للبدء في إنشاء «صندوق للمساواة الدولية» لدعم منظمات المجتمع المدني التي تعمل من أجل المثليين والمتحولين جنسيا وثنائيي الجنس، أو الشاذين جنسيا، وفق التعبير الأكثر دقة!».

حلمي الأسمر – الدستور الأردنية

٩/ ١٢/ ٢٠١١

عنزة ولو طارت!

قالوا: «عندما نتحدث عن أي شيء يخص السيد حسن نصر الله أو حزب الله، فنحن لا نتحدث سوى عن موقف معين، ولا نتورط في الإساءة إلى تاريخ الرجل في مقارعة العدو الصهيوني ولا نتورط البتة في التشكيك في ذلك التاريخ أيا تكن التحالفات التي أنتجته ومنحته القوة. إنه الإنصاف الذي تعلمناه من ديننا الحنيف».

ياسر الزعاترة – الدستور الأردنية

١٠/ ١٢/ ٢٠١١

هكذا تفرط دولنا في حقوق السنة!

قالوا: «لاحظوا معنا الفرق بين تعميمين صدرا من الأوقاف السنية والأوقاف الجعفرية (بالبحرين) لتعرفوا ما نتحدث عنه: فتعميم الأوقاف الجعفرية بشأن الانتخابات يقول (الأوقاف الجعفرية تدعو إلى إبعاد دُور العبادة عن الدعايات الانتخابية، وتؤكد أن استغلالها لتداول الأمور الدنيوية أمر خارج عن توجيهات الدين الحنيف)، أما الأوقاف السنية فجاء في تعميمها – وبالمناسبة لم يكن بالهاتف هذه المرة – (الأوقاف السنية تحظر في تعميم لها على جميع الخطباء والأئمة والمؤذنين وأعضاء اللجان التابعة للمساجد والجوامع والمشرفين على الصالات والمرافق الملحقة بها استخدام المساجد والجوامع وملحقاتها لأغراض الدعاية الانتخابية للمترشحين لانتخابات المجلس النيابي والمجالس البلدية بأية صورة من الصور، وتلوِّح بمعاقبة كل من يخالف تعميمها)».

مدونة عمر خليفة راشد

١٢/ ١٢/ ٢٠١١

أين العقلاء والشرفاء!!

قالوا: «أرسلان يزور الأسد على رأس وفد من مشايخ الدروز اللبنانيين للتضامن مع القيادة السورية».

الشرق الأوسط ١٠/ ١٢/ ٢٠١١

لا توجد طائفية!!

قـــالوا: «نعلـــم جيـــدا أنـــه لا يوجـــد قمـــع في ســـوريا. بالتأكيـــد هنـــاك بعـــض المـــشاكل الـــصغيرة (...) لكـــن يجـــب إعطـــاء الوقـــت لنظـــام الـــرئيس بـــشار الأســـد لينفـــذ الإصـــلاحات الديمقراطيـــة.. إن ملايـــين النـــاس ينزلـــون إلى الـــشارع لـــدعم إصـــلاحاته. لكـــن بعـــض التلفزيونـــات وخاصـــة (قنـــاة) الجزيـــرة تـــسعى بكـــل قواهـــا لطمـــس هـــذا الأمـــر وتظهـــر عـــلى عكـــس ذلـــك ٢٠٠ أو ٣٠٠ عنصر من منظمة إرهابية دموية يتظاهرون».

علي يرال، رئيس جمعية «أهل البيت»

العلوية في أنطاكية التركية

السبيل ١٠/ ١٢/ ٢٠١١

انتباه!

قالوا: «صُدِم الشعب التونسي من ظهور التشيع في تونس بشكل سافر في الفترة الأخيرة، فقد أقيمت لأول مره مراسم عيـد الغـدير وعاشـوراء في مدينـة قـابس جنـوب العاصـمة التونسية».

موقع البينة – ١١/ ١٢/ ٢٠١١

والفضل ما شهدت به الأعداء!!

قـالوا: «.. ثـم إن العلمانيـين العـرب، أتيحـت لهـم فـرص ممارسة الحكم في أكثر من ساحة ودولة، فماذا كانت النتيجة غير الخراب المقيم، انظروا لجنوب اليمن (ما كان جنوب الـيمن) وعُـمان عـلى سـبيل المثـال، أي النمـوذجين انتـصر، انظـروا للمغـرب والجزائـر، للأنظمـة الملكيـة والجملوكيّـات (العلمانية)، الإسلاميون يستحقون فرصة لممارسة خياراتهم طالمـا أنهـم لم يـأتوا عـلى ظهـر دبابـة إلى سـدة الحكـم، كـما فعلت أحزاب قومية ويسارية (علمانية) ذات يوم».

عريب الرنتاوي – الدستور الأردنية

٥/ ١٢/ ٢٠١١

هل من جواب؟

قـالوا: «مـؤخرا قـال نـصر الله «مـا يـصدأ مـن سـلاحنا نـأتي بغـيره».. فلـماذا يـصدأ الـسلاح أصـلا إن لم يكـن مـن ندرة الاستخدام؟».

نديم قطيش – الشرق الأوسط

١٨/ ١٢/ ٢٠١١

«ليظهره على الدين كله»

قـالوا: «الفاتيكـان يُقـر أن الإسـلام بـات الديانـة الأولى الأكثـر انتـشارا في جميـع أنحـاء المعمـورة، حيـث أن ١٩ في المائة من سكان العالم مسلمون، مقابل ١٧٫٥ في المائة من المسيحيين».

المصريون ٢٣/ ١٢/ ٢٠١١

الحقيقة!

قـالوا: عـدد مـن قتـل مـن الفلسطينيين في العـراق عـلى يـد جـيش المهـدي وفيلـق بـدر خـلال العـام المنـصرم والحـالي يفـوق عـدد قتلاهـم عـلى يـد اليهـود في فلـسطين خـلال الفـترة نفسها.

قاسم محمد مدير مركز

حقوق الإنسان والدراسات الديمقراطية

موقع البينة ٢١/ ١٢/ ٢٠١١



السلفية في مصر (١)

أسامة شحادة

قلّما يخلو يوم من اتصال أو لقاء أُسأل فيه عن انتصار السلفيين في الانتخابات المصرية، هذا الانتصار المفاجئ والمخالف للتوقعات بحسبهم، لكنني كنت أوضح لهم أن خطأ صورتهم الذهنية عن الواقع السلفي في مصر هو سبب هذه المفاجأة والدهشة، وأن هذا التقدم للسلفيين في مصر شيء متوقع لمن يعرف الواقع السلفي في مصر ويعرف تاريخه.

وفي هذا المقال إشارات سريعة لتاريخ السلفية وواقعها في مصر، علّها تصحح الصورة الذهنية السلبية عن السلفية في مصر في عيون الكثيرين من المراقبين والمتابعين:

* السلفية دخلت مصر مع الصحابة الكرام الذين فتحوا هذا البلد سنة ٢١هـ، إذ السلفية هي الإتزام بفهم وتطبيق السلف (الصحابة) للدين، فالسلفية في مصر قديمة قِدم الإسلام نفسه وليست أمراً طارئا، كما حدث في بلاد أخرى دخلها الإسلام عن طريق بعض المسلمين من اتجاهات غير سلفية سواء كانوا دعاة أو تجاراً.

* لقد عرفتْ مصر عدداً من كبار أئمة السلفية الذين تتلمذوا على الصحابة الذين سكنوا مصر في مرحلة التابعين وتابعي التابعين وهو العهد الذي شهد ظهور تيارات إسلامية جديدة لم تلتزم بفهم وتطبيق السلف (الصحابة)، منهم الإمام الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ)، والذي قال فيه الشافعي: (الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به). ومنهم الإمام الشافعي الذي دخل مصر سنة ٢٠٤هـ، وغيرهم كثير من التابعين وتابعيهم.

* أهم متن في العقيدة عند السلفيين في العالم هو لإمام سلفي مصري هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المعروف بالطحاوي، من طحا، قرية بصعيد مصر، ت ٣٢١هـ ومتنه معروف بالعقيدة الطحاوية.

* لقد عاش شيخ الإسلام ابن تيمية عدة سنوات من عمره (٧٠٥هـ- ٧١٢هـ) في مصر متنقلا بين القاهرة والإسكندرية حيث كان يُسجن حيناً ويفرج عنه حيناً آخر بحسب قوة أعدائه، وكان في سجنه وإقامته يؤلف بعض كتبه ويدرّس طلابه ومحبيه، وقد جمع بدر الدين الحنبلي البعلي (ت ٧٧١هـ) فتاوى ابن تيمية في مصر في كتاب سماه (الفتاوى المصرية) وقام شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية الشيخ عبدالمجيد سليم بتحقيق الكتاب.

* في سنة ١٢٣٣هـ وبعد استيلاء إبراهيم باشا على مدينة الدرعية، عاصمة الدولة السعودية الثانية، قام بأسر عدد من آل سعود وإرسالهم إلى مصر، حيث كان ثلاثة منهم من أولاد الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وهم عبد الله وإبراهيم وعلي، وكان معهم عبد الرحمن بن حسين آل الشيخ، وكان مع عبدالله ابنه عبد الرحمن (١٢١٩-١٢٧٤هـ) الذي عاش هناك وأخذ يتزود من طلب العلم على أبيه وأعمامه وعلى بعض مشايخ الأزهر في جميع العلوم حتى أصبح شيخ رواق الحنابلة في الجامع الأزهر.

* لقد كان لجهود العلامة محمد رشيد رضا ومجلته المنار التي أسسها دور هام في تشكيل الوعي الإسلامي السلفي ليس

في مصر فحسب بل في العالم الإسلامي كله، ومن تلك الجهود «مدرسة الدعوة والإرشاد» (تأسست سنة ١٩١٢م) التي كان أحد المعلمين فيها العلامة حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية، وكان الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح، أحد مؤسسي جماعة أنصار السنة أحد طلابها.

هذه إشارات تاريخية سريعة على تجذر السلفية في مصر وأنها ليست طارئة وحديثة كما يحاول البعض أن يصورها على أنها موجة حديثة متأثرة بعمل المصريين في الخليج وخاصة السعودية بعد الطفرة البترولية، وهؤلاء يتجاهلون حقيقة تاريخية هامة جداً وهي أن عدداً من الرموز السلفية المصرية الكبيرة سافر إلى السعودية مبكراً وساهم في تأسيس وبناء الدولة السعودية ونشر الدعوة السلفية في السعودية والعالم.

فمؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية العلاّمة حامد الفقي سافر بعد تأسيس الجماعة سنة ١٩٢٦م إلى السعودية، وذلك في عام ١٩٢٨م وأشرف على تأسيس مجلة الإصلاح الحجازية وأصبح المشرف عليها.

أما الشيخ عبدالرزاق عفيفي، الرئيس الثاني لأنصار السنة، فانتدبه الملك عبدالعزيز آل سعود للتدريس في السعودية سنة ١٩٤٨م ومن ثم أشرف على إنشاء كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض وتولى إدارة المعهد العالي للقضاء وأصبح عضوا بهيئة كبار العلماء.

وعين الشيخ عبد الرحمن الوكيل، الرئيس الثالث للجماعة، أستاذاً للعقيدة بقسم الدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة، وذلك بعد أن كان نائبه الشيخ خليل هراس قد سبقه هناك بالتدريس بكلية الشريعة بمكة المكرمة وتأسيس قسم العقيدة للدراسات العليا.

أما الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح، أحد مؤسسي جماعة أنصار السنة، فقد طلبه الملك عبد العزيز ليكون إماماً وخطيباً ومدرساً بالمسجد الحرام في مكة المكرمة، ومن ثم يؤسس مدرسة دار الحديث ويتولى إدارتها.

التربية الحزبية مقابل التربية الاجتماعية

د. عبد الله النفيسي – موقع الرأي المستنير

من الملاحظ أن مناهج التكوين الأيديولوجي والتربوي في معظم «تنظيمات» الحركة الإسلامية لا تعني بالتربية الاجتماعية قدر عنايتها بالتربية الحزبية. نقصد أن المناهج التربوية في معظم «تنظيمات» الحركة الإسلامية ترتكز على تربية وتنشئة «العنصر الحزبي» المنتمي والمطيع والمنفذ والموالي ولاءً مطلقاً لقيادته الحزبية والحركية، ولا تهتم في مقابل ذلك بتنشئة ذات «العنصر» على التواصل الاجتماعي والفكري والنفسي والثقافي مع المحيط الحركي الذي يمثله المجتمع الأوسع. لذا نجد أن مخرجات العمليات التربوية الحاصلة في «تنظيمات» الحركة غير متوازنة.

فمن جانب نجد تطوراً إيجابياً في «العنصر» من حيث تكوينه الحزبي وقدرته على التنفيذ والوفاء بالتكاليف الحركية، ومن جهة أخرى يلاحظ عليه زمرة من التطورات السلبية التي تحتاج بدورها لمعالجة عبر مناهج جديدة.

من أهم تلك التطورات السلبية في «المنتمي الإسلامي» الجديد أنه يتحول إلى حالة من «الانتظار الدائم» للأوامر والتعليمات ويفقد كل قدرة على المبادأة والمبادرة على أي مستوى من المستويات حتى على مستوى تكوين رأيه في القضايا التي يشاهد ظواهرها يومياً.

هذه الثغرة في المنهاج التربوي يتضرر منها «التنظيم» الإسلامي كما يتضرر منها الإسلام من حيث هو دعوة ودين وحركة اجتماعية، أما الضرر الذي يظهر «تنظيمياً» فيتلخص–

مع استمرار تلك السياسة التربوية- بتكاثر «المنفذين واللائحيين» وضمور في عدد «المبدعين والخلاقين» ومع الوقت يتحول «التنظيم» إلى آلة صماء كبيرة ضخمة متفرعة ثقيلة ذات أطراف قوية «الكاتربيلر» من الممكن أن يتحكم في توجيهها إنسان متواضع الأهلية والثقافة، إنسان بلا مبادأة ولا كاريزما ولا خيال.

ولأن العملية التربوية داخل «التنظيم» تركز على «قيم التنظيم» من طاعة وولاء والتزام وفدائية ونكران للذات، وليس على «قيم المجتمع الأوسع» من حقوق وواجبات وأدوار ومصالح ومطالب، نقول لأن ذلك حاصل ويتحول «التنظيم» إلى غاية في حد ذاته ويصبح التمسك فيه وبه يعاد «المشروع الإسلامي» الذي يبشر به بمعنى يتولد شعور خفي لدى «المنتمي الإسلامي» إن الإسلام لن يعود لسابق مجده إلا من خلال «التنظيم». من هنا يتم التركيز على نقطة «التنظيم» ومجاله، ومن هنا يصبح ازدهاره وانتشاره وبروزه «القضية الأوجب» بالتقديم على «القضية الاجتماعية العامة».

ومن هنا نجد أن «المنتمي الإسلامي» يتقن موجبات الانتماء التنظيمي وتواءم معها، لكنه من جهة أخرى يتراخى في موجبات انتمائه الاجتماعي الأوسع ويفرط في «دوره العام» غير المرتبط بالتكاليف التنظيمية برغم أن هذا «الدور العام» أكثر أهمية من «الدور الخاص» المربوط بهيئات «التنظيم». وينشأ عن هذه الثغرة «التربوية» ثغرة أخرى تتعلق بمنظور «المنتمي الإسلامي» للقضايا العامة وحتى على درجة تفاعله معها.

فعلى صعيد «المنظور» نلاحظ العمومية والانطباعية وكسلاً في التتبع الثقافي للقضية العامة وشيئاً من الرومانسية الحالمة المنفكة والمعبأة بالخطاب التاريخي والماضويات المكرورة والمبثوثة بين عموم الناس. وأما «درجة التفاعل» مع القضية العامة فيقررها له «التنظيم»: فالأخير هو الذي يقرر «العام» من «الخاص» و«المهم» و«الأهم» وغير ذلك أيضاً.

وينشأ عن هذا «الفصام» في العملية التربوية، شيء مشابه له على صعيد التعامل مع المحيط الحركي الذي يشكله المجتمع الأوسع. فـ «المنتمي الإسلامي» يتعامل مع المجتمع الأوسع بمنطق «التنظيم»: مزيج من التوظيف السياسي للعلاقة وشيء من الاستعلاء الشعوري والنفسي «لقد مارس المرحوم سيد قطب في المعالم تنظيراً لهذه النقطة». لذا نجد المنتمي «الإسلامي» يأخذ من المحيط ما يفيد «التنظيم» ويدفع عن «التنظيم» ما يتفاعل في المحيط من نزوعات و«شرور».

في إطار هذا «الحدب» على «التنظيم» تصبح كل قضية أخرى «ثانوية». ذلك هو جذر المشكلة في موقف «التنظيم» من العلاقات السياسية المتوازنة مع القوى الاجتماعية والسياسية المتباينة.

طبعاً عندما نتحدث عن «المنهاج التربوي» في تنظيمات الحركة الإسلامية وننتقده أو نبين أوجه القصور فيه، لا نقصد بمصطلح «المنهاج التربوي» التعاليم الأخلاقية والمناقب الإسلامية التي أحيتها الحركة الإسلامية في مجتمعنا المعاصر، إطلاقاً لا نقصد ذلك، بل نحن نحيي الدور الريادي الذي قامت به الحركة في هذا المجال. ما نقصده بـ «المنهاج التربوي» هو ما يصب في النهاية في مجال «التكوين الأيديولوجي» وتشكيل المنظورات الاجتماعية والسياسية للأفراد، أكثر من المناقبيات الفردية والأخلاقيات الخاصة بهم. **ومن تفريعات هذا التكوين الأيديولوجي القاصر نلاحظ أنه يفرز لدى «المنتمي الإسلامي» العقلية المباشرة، فهو لا يهتم ولا يدرك إلا «المباشر» ولذا نجده لا يتفاعل مع القضية العامة إلا ما كان له صلة «لصيقة و مباشرة» بفضاءات المناشط التي يمارسها «التنظيم».**

ومن هنا نلاحظ أيضاً ضعف التمييز .لدى

التنظيمات الإسلامية .في فرز المباشر من غير المباشر، القصد بين ما يؤثر عليها مباشرة وما قد يؤثر عليها أكثر ولكن بطريق غير مباشر. وتوظيفاً لهذا الثغرة نشط خصوم الحركة الفعليون في توفير «الإشباع المباشر» لها، والتركيز في محاربتها وتطويقها على الدروب والآليات «غير المباشرة» فـ «الإشباع المباشر» للحركة يتحقق من خلال توفير فرص «التعبير الديني» الصاخب والمكثف في الصحف والإذاعات ومحطات التلفاز والمناسبات الدينية والوطنية، وفي الوقت نفسه ويتوازى مع هذا جهود مكثفة «في الظل» للحؤول دون تمكين «منهج الدين» من اتخاذ القرار وتنظيم المؤسسات والوزارات والهيئات والعلاقات الدولية والعسكرية وغير ذلك من المناشط المفصلية.

ومن الملاحظ أن قابليات «التنظيمات الإسلامية» للغرق في عمليات الإشباع المباشر كبيرة للغاية، ولذا بات من السهل استرضاؤها وتوظيفها سياسياً في «حروب الوكالة» وهي- في السياسة .«حروب وهمية» يخوضها الحزب ضد الحزب الآخر لخدمة «طرف ثالث» يتحكم في تفاصيل الصراع «بالريموت كونترول». جذر كل هذا واحد: التركيز على التربية الحزبية الواحدية «البيوريتانية» (أي التطهرية) وإهمال التربية الاجتماعية ذات الجهات الأربع التي تعي الكليات «جشتالت» ولا تقف عند حد الفهم الجزئي.

وحل هذا واحد: تصحيح مفاهيم التربية الحزبية في «التنظيم الإسلامي» والتركيز على فنون التربية الاجتماعية التي تستهدف خروج الجنين الإسلامي من القشرة لا النمو الحلزوني داخل القشرة.

حوار إسلامي حول الحرية والمبادرة داخل التنظيم!

أحمد الريسوني وعبد الرحيم الشيخي
منسق مجلس شورى التوحيد والإصلاح
جريدة التجديد المغربية ٨/١٢-٢٠١١/٨/١٦

قصة هذا الحوار بيني وبين أخي العزيز أحمد الريسوني – حفظه الله– تعود أصولها إلى الحوار الذي أدلى به لجريدة أخبار اليوم بعد ٢٠ فبراير ٢٠١١ وعبر فيه عن عدد من الآراء والمواقف فيما يخص الأحداث الجارية آنذاك في العالم العربي وتفاعلاتها بالمغرب، وقد أورد في حديثه بعض الآراء تتعلق بالحرية والمبادرة داخل التنظيمات وكذا تعدد الانتماءات وموجباتها، مما كان يستدعي مناقشة وتمحيصا. وقد أعددت رسالة في الموضوع وكان العزم على إرسالها خلال تلك المرحلة غير أن ذلك لم يتم لأسباب متعددة. وحينما تيسر ذلك أرسلت ملاحظاتي للدكتور أحمد يوم ٢١ يوليوز ٢٠١١ من مراكش مكان قضاء جزء من عطلتي السنوية وقد عنونت المراسلة الإلكترونية بـ «التأخر في الوصول خير من عدم الوصول»، فكان جوابه تحت عنوان «حوار حول حوار» مما أوحى لي بفكرة تعميم مضامين هذا النقاش ونشره على صفحات جريدة التجديد خلال شهر رمضان الكريم لما أقدر أن فيه فائدة للجميع فعرضت الفكرة على الدكتور أحمد الذي رحب بها ولم ير مانعا من ذلك.

رأي الريسوني كما جاء في حواره لـ «أخبار اليوم»

* ما هو رأيكم في موقف عدد من القياديين في العدالة والتنمية الذين خرجوا عن قرار الحزب بهذا الشأن وانضموا إلى المسيرة؟

– أنا دائما أدافع عن الحرية باعتبارها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي منحة نفيسة خص الله بها بني آدم وميزهم بها على سائر المخلوقات. ولذلك فمن حق من رغب في المشاركة في حركة ٢٠ فبراير وغيرها أن يفعل ذلك. وأنا ضد أن تقوم

الأحزاب والتنظيمات بتكبيل حرية المبادرة المسؤولة لأعضائها، وأن تجعلهم لا يتحركون إلا بقرار منها، فمتى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ ثم لا ننس أننا حين ننتمي إلى حزب أو حركة، فنحن - قبل ذلك - منتمون إلى وطن وإلى شعب وإلى أمة ودين. فانتماؤنا الحزبي لا يسقط الحقوق والواجبات التي تقتضيها انتماءاتنا الأخرى، لا سيما إذا كانت أسمى وأسبق.

والذي أعلمه هو أن الحزب قرر عدم المشاركة باسمه وهيئته، ولكنه لم يقرر منع أعضائه من المشاركة. ولو فرضنا أنه قرر ذلك هذه المرة أو في مرة أخرى، فأنا لا أقبل هذا الحجر على العباد. فلكل أن يبادر ويمارس حريته ويصونها، والمحاسبة تكون على الإساءة والإضرار ومخالفة المبادئ والالتزامات المعتمدة.

* كيف تقرؤون تضارب مواقف حركة التوحيد والإصلاح بشأن التضامن مع الحركات الاحتجاجية، حيث دعت إلى التظاهر من أجل مساندة الثورة الليبية في الوقت الذي دعت فيه إلى مقاطعة مسيرات ٢٠ فبراير بالمغرب؟

- الذي أعرفه - وأنا بعيد ومعلوماتي ناقصة - هو أن حركة التوحيد والإصلاح قررت شيئا واحدا هو عدم المشاركة الرسمية في التظاهرات، لكنها لم تدعُ أبدا إلى مقاطعتها، ثم قرأت بيانا للمكتب التنفيذي للحركة فيه تأييد صريح وقوي لمطالب حركة ٢٠ فبراير، وتثمين لها وإشادة بسلميتها. وهذا موقف إيجابي جيد، وأما من الناحية الشكلية والتنظيمية والتنفيذية فلا يمكننا أن نصب الناس جميعا في قالب واحد ونحشرهم في يوم واحد وفي ساحة واحدة.

تعقيب عبدالرحيم الشيخي

أخي العزيز أحمد، السلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد

فها أنذا أعود لمراسلة الشيخ الموزون كتابة بعد طول غياب. كنت أود أن يكون موضوع حديثنا قضايا عديدة جالت بخاطري منذ أول رسالة إليك، بيد أن ما تعرفه اليوم بعض البلدان العربية من أحداث أصبحت ربما أم القضايا التي تفرض نفسها على أي متحدث.

ولأنك «دائما تدافع عن الحرية باعتبارها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي منحة نفيسة خص الله بها بني آدم وميزهم بها على سائر المخلوقات» كما جاء في حوارك الأخير، فها نحن نجدك حاضرا «في الميدان» و«في الساحة» بقلمك تدافع عن حق الشعوب في انتزاع حريتها المسلوبة واستعادة كرامتها وتصرخ في وجه المستبدين «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟».

ولست أدري، أيها الشيخ الموزون، هل هي رياح «تونس الشهيدة» و«مصر الثورة» التي دفعتك لإعادة النظر في بعض قواعد العمل الجماعي التي لطالما حظيت بنقاش واسع ومستفيض استقر عندنا على اجتهاد معتبر أعلم أنه كان لك في تأصيله وترسيخ العمل به إسهام مقدر، أم أن «خلوتك الشرعية» بمَعلمة القواعد الأصولية والفقهية جعلتك تقف على قواعد جديدة لا نعلمها.

إن حديثي إليك اليوم أخي الكريم يتعلق بما جاء في حوارك الأخير وتحديدا الرأي الذي عبرت فيه عن أنك «ضد أن تقوم الأحزاب والتنظيمات بتكبيل حرية المبادرة المسؤولة لأعضائها، وأن تجعلهم لا يتحركون إلا بقرار منها، فمتى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ ثم لا ننس أننا حين ننتمي إلى حزب أو حركة، فنحن - قبل ذلك - منتمون إلى وطن وإلى شعب وإلى أمة ودين. فانتماؤنا الحزبي لا يسقط الحقوق والواجبات التي تقتضيها انتماءاتنا الأخرى، لا سيما إذا كانت أسمى وأسبق»، وأضفت أن «والذي أعلمه هو أن الحزب قرر عدم المشاركة باسمه وهيئته، ولكنه لم يقرر منع أعضائه من المشاركة. ولو فرضنا أنه قرر ذلك هذه المرة أو في مرة أخرى، فأنا لا أقبل هذا الحجر على العباد. فلكل أن يبادر ويمارس

حريته ويصونها، والمحاسبة تكون على الإساءة والإضرار ومخالفة المبادئ والالتزامات المعتمدة».

أخي الكريم، إنني أكاد أجزم بأن الأغلبية الساحقة للأعضاء – إن لم يكن جميعهم – سواء في حركة التوحيد والإصلاح أوحزب العدالة والتنمية، يعبرون مثلما تعبرون عن أنهم «ضد أن تقوم الأحزاب والتنظيمات بتكبيل حرية المبادرة المسؤولة لأعضائها، وأن تجعلهم لا يتحركون إلا بقرار منها»، بل إننا لا نفتأ ندعو الأعضاء في جلساتنا وهيئاتنا وجموعنا إلى نبذ الانتظارية والتحلي بالفاعلية والفعالية، وأحدثت الحركة جوائز ومحفزات لأحسن المبادرات. كيف يمكن أن توصم الحركة أو الحزب بتكبيل حرية الأعضاء، وأنت تعلم أن من بين ما يؤاخذه علينا بعض من محبينا في الداخل والخارج كون أعضائنا لديهم «حرية زيادة» تتجاوز في بعض الأحيان توجهات التنظيم وقراراته، وأننا نبالغ في الشورى والاستشارة ومراعاة الآراء إلى درجة قد تفقد التنظيم قوته التي تقوم على «الجندية والانضباط» التي يشار إلى كونها ناقصة في تنظيماتنا بالمقارنة مع تنظيمات نعلمها جميعا في الداخل والخارج. وليس خافيا عنك أيضا ما يؤاخذ على هيئاتنا المسيرة من تباطؤ في مساءلة أو محاسبة عدد من الأعضاء الذين لا ينتظرون قرارا من الحركة ليجعلهم يتحركون فقط بل إنك تراهم «يحلقون» في مختلف الأجواء والفضاءات معبرين عن آرائهم ومواقفهم منتقدين الحركة وقيادتها إلى درجة تصل في بعض الأحيان إلى «جلد ذاتي» وتسفيه لآراء ومواقف المخالفين لهم من إخوانهم وأخواتهم، إن لم يتعدى الأمر ذلك إلى اتهام للنوايا مما يدعو بعض محبينا الذين أشرت إليهم سابقا إلى الاستغراب من كون هؤلاء أعضاء في الحركة.

قد أتفق معك أنه يوجد في بعض الأحيان ضيق بالرأي المخالف وخشية من أن يؤدي الاختلاف في الرأي والتعبير عنه إلى التشويش على صورة التنظيم الموحدة الجامعة المنسجمة، أو إلى إضعاف مستوى التفاعل مع ما قد تتخذه الهيئات والمؤسسات المعتمدة من قرارات، غير أنني أعتقد أن المقياس الجديد الذي أضفتموه لتحديد التزام الأفراد بالقرارات التنظيمية المتخذة من طرف الهيئات التي ينتمون إليها والذي يفهم منه تمكينهم من معارضة هذه القرارات بحجة ما تقتضيه الانتماءات الأخرى، أعتقد أنه يحتاج إلى تفصيل وتدقيق من خلال التمييز بين التعبير عن الرأي والالتزام بالقرار، وكذا التمييز بين حرية المبادرة المسؤولة للأعضاء قبل اتخاذ القرار ومسؤوليتهم في تنفيذه خصوصا إن كانوا من المشاركين في اتخاذه أو عند صدوره من هيئة مسؤولة بطريقة سليمة وصحيحة. وعلى افتراض وجود خلل في ذلك، ألا يكون المنهج السليم لتدبير الاختلاف في الرأي ومعالجة الأخطاء داخل التنظيمات، بالرجوع إلى الهيئات المعتمدة المخولة لذلك عوض نقلها إلى فضاءات أخرى والسعي لحشد التأييد خارجها؟.

ثم كيف لنا في حركة التوحيد والإصلاح أن ننسى أخي الكريم «أننا حين ننتمي إلى حزب أو حركة، فنحن – قبل ذلك – منتمون إلى وطن وإلى شعب وإلى أمة ودين. فانتماؤنا الحزبي لا يسقط الحقوق والواجبات التي تقتضيها انتماءاتنا الأخرى، لا سيما إذا كانت أسمى وأسبق»، كيف يتأتى لنا ذلك ونحن نعتبر أن انتماءاتنا التنظيمية ما هي إلا وسيلة لتعزيز انتماءاتنا القبْلية «إلى وطن وإلى شعب وإلى أمة ودين» وللقيام بجزء من واجبنا الذي تؤطره قاعدة «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب». لقد سطرنا في ميثاقنا تأصيلا «للعمل الجماعي المنظم» وجعلناه سادس مبادئنا ومنطلقاتنا الإحدى عشر ونحن مدركون تمام الإدراك لما كان يثيره البعض من شبهات حول التنظيمات وشرعيتها وما كان يوجهه البعض الآخر من سهام لأصحابها متهما إياهم بتفريق الأمة والتحزب المذموم شرعا وغير ذلك، داعين إلى الانتماء إلى الدين فقط وإلى الأمة لا غير ونبذ كل ما يظنون أن رسول الله ﷺ لم يتخذه أسلوبا أو وسيلة من الوسائل في دعوته.

«لقد استعمل النبي ﷺ وسائل دعوية متعددة حسب المرحلة التي كانت تجتازها الدعوة في مكة والمدينة، لكن الاختيار المبدئي الذي لم يتغير هو اعتماد العمل الجماعي المنظم والموجه نحو مقاصد مرسومة يتم تنفيذها في كل مرحلة، فقد كان ﷺ يضم الفرد بعد إسلامه إلى الجماعة المسلمة، فيرتبط بإخوانه برباط المحبة في الله ويتحول الإسلام إلى قضية مصيرية في شعوره وتفكيره، وينمو لديه الشعور بالانتماء إلى الأمة والبراء من الباطل وأهله.» (الميثاق)

«والإسلام جاء برسالة إصلاحية شاملة ، فيها ما بين العبد وربه، وفيها ما بينه وما بين نفسه، وفيها ما بينه وما بين الناس، وحتى تنزل هذه الرسالة بكل أبعادها وامتداداتها إلى الواقع لابد من دعوة يجتمع فيها العمل العلمي والتربوي والثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، وحتى تسير هذه الأنواع من العمل الإسلامي في انسجام لابد من خطط ونظم وقوانين، ولا بد من مؤسسات ولجان ومسؤولين ومهام، ولابد من اجتماعات ولقاءات ومشاورات وقرارات، ولابد من محاسبة ومراجعة وتقويم، وهذا لا يكون بغير عمل جماعي منظم يجد فيه كل مسلم مكانه ويمارس فيه دوره فيخدم دينه ودعوته بما يحسن، في الوقت الذي يقوم غيره على ثغور أخرى.» (الميثاق)

وبما أننا أيضا كنا واعين تمام الوعي بما قد يثار حول مكانة هذه المنطلقات والمبادئ وموقعها فقد صدرنا للحديث عنها بما يزيل أي لبس قائلين: «نقصد بالمبادئ والمنطلقات تلك الكليات والأسس التي ننطلق منها ونرتكز عليها لتحقيق أهدافنا، وهي مستمدة من الكتاب والسنة، فنحن نجعل الكتاب والسنة المصدر الأعلى لكل مبادئنا ومنطلقاتنا وأهدافنا، والموجه الأسمى لاختياراتنا واجتهاداتنا، ونجعل ما تضمّناه فوق آرائنا وقوانيننا وقراراتنا، وقديما قال بعض الأئمة : (إذا صح الحديث فهو مذهبي) ونحن نقول :كل ما ثبت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو قولنا ومذهبنا وشرعتنا».

كما أكدنا في آخر صفحة من الميثاق على أن «الوسائل والسبل لا حصر لها، ولا حد لتغيرها وتطورها. والمهم أن نستعمل الوسائل الفعالة والمشروعة ونسلك السبل الناجعة والموافقة لديننا ولمبادئنا. فنحن لا نحجر على أنفسنا في وسائل العمل وصيغه وأساليبه»، وهو ما صاغه بعض إخواننا قاعدة ذهبية تميز عملنا عن بعض ما تقوم به تنظيمات أخرى، أي **«العمل بالجماعة وليس العمل للجماعة»**.

رد أحمد الريسوني على عبدالرحيم الشيحي

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الحبيب عبد الرحيم الشيخي حفظك الله

السلام عليك وعلى من معك ورحمة الله وبركاته، ومرحبا برسالتك وملاحظاتك وبعد.

فحتى لا أحتاج إلى التفصيل والتطويل، مما قد يجر إلى انتظار وتأخير كالذي حصل لك، فإني أختصر القول بذكر أهم الدواعي لما عبرت عنه من أفكار قد تكون مزعجة أو مثيرة للدهشة؟ فلربما على الأقل: إذا عُرف السبب زال العجب.

كل ما أقوله – فيما له صلة بالعمل الإسلامي – لا تكاد تغيب عنه أحوال الحركات والأحزاب الإسلامية وآفاتها واحتياجاتها مَغربا ومَشرقا، خاصة وأن كلامي يُقرأ ويُتداول في المشرق أكثر مما في المغرب. ولذلك قد يصدق فيه أحيانا المثل القائل: إياكِ أعني واسمعي ياجارة. فإذا كان بعض كلامي موجها إلى حركتنا، فإن أكثره – أو كله – موجه في المقام الأول إلى غيرها.

لديَّ إحساس قديم وراسخ بأن القيادات التنظيمية عموما، تجنح باستمرار إلى الضبط والتحكم والتنميط. ولذلك فهم عادة يَضيقون بالحرية ويُضَيِّقونها شيئا فشيئا، بوعي أو بدون وعي. ورغم أن حركة التوحيد والإصلاح تعتبر نموذجا ممتازا في موضوع المرونة التنظيمية وإعطاء الحرية وتشجيع المبادرة، كما أوضحتَ ذلك بما فيه الكفاية، فإن الجنوح المذكور (للضيق

والتضييق) قائم، وأحيانا يأخذ في التضخم، وينتج توترات أو انكماشات، سواء في صفوف الحركة أو في مشتقاتها. والأمثلة حاضرة عندي بالوقائع والأمثلة المتنوعة. ولكن دعني أغتنم هذه الفرصة لأشير خاصة إلى إعلام الحركة، ففي المرة الأخيرة التي كنت بالمغرب وجدني الأخ مصطفى الخلفي أنظر في جريدة التجديد، فسألني: كيف تجد مستواها؟ فقلت جيد ومفيد. ولو سألني: فلماذا في رأيك مبيعاتها ضعيفة؟ لقلت له: إنه الالتزام بالخط الحزبي الرسمي. ولطالما ناديت بخوصصة إعلام الحركة حتى تتسع حريته وتقل قيوده ويكون قادرا على المنافسة.

هذا الاقتناع الذي يلازمني وينتفض بداخلي في بعض المناسبات المستفزة، تَعَزز بما قرأته عند علال الفاسي في كتاب (بديل البديل)، حيث اتفق هو وروجيه جارودي وعالم عراقي ذكره هناك، على ما في «التنظيم» من آفات، لعل أخطرها قتل الحريات وشل المبادرات... ولذلك كنت وأصبحت أكثر «ضد أن تقوم الأحزاب والتنظيمات بتكبيل حرية المبادرة المسؤولة لأعضائها، وأن تجعلهم لا يتحركون إلا بقرار منها». وهذا الذي أرمي إليه مقرر في نهجنا الفكري والتنظيمي، فكلامي أعتبره تثبيتا لمنهج حركتنا قبل أن يكون نقدا لها.

وقد تزامنت قراءتي وكتابتي في هذه النقطة مع الحوار المذكور والأحداث المعنية فيه. فجاءت تلك الجرعة القوية التي أصبحتُ أكثر اطمئنانا إلى ضرورتها ومناسبتها.

بعض الأمراض والظواهر الاجتماعية شبه الطبيعية، تحتاج دوما إلى شيء من المضادات الفكرية والنفسية لمنع ظهورها أو لمنع استفحالها أو لمنع استتبابها والاعتياد عليها. وقد يتطلب الأمر شيئا من التشدد المعاكس لمسار المرض. وللشاطبي كلام جيد في هذا المعنى، أعول عليه وأستند إليه، ولو أنه في المجال التشريعي.

وربما يحسن أن أنقل ولو جزءا منه. يقول رحمه الله: «... فإذا نظرتَ في كلية الشريعة (أي في مجملها) فتأمَّلْها تجدْها حاملة على التوسط. فإن رأيتَ ميلا إلى جهةِ طرف من الأطراف، فذلك في مقابلةِ واقع أو متوقع في الطرف الآخر. فطرفُ التشديد وعامةُ ما يكون في التخويف والترهيب والزجر، يؤتَى به في مقابلة من غَلَب عليه الانحلال في الدين. وطرف التخفيف وعامةُ ما يكون في الترجيَّةِ والترغيب والترخيص، يؤتي به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد. فإذا لم يكن هذا ولا ذاك، رأيتَ التوسط لائحا ومسلكَ الاعتدال واضحا، وهو الأصل الذي يُرجع إليه والمعقل الذي يُلجأ إليه. وعلى هذا: إذا رأيتَ في النقل من المعتبَرين في الدين من مال عن التوسط، فاعلم أن ذلك مراعاة منه لطرف واقع أو متوقع في الجهة الأخرى.» (الموافقات ٢/ ١٦٧– ١٦٨)

هناك فكرة أستبطِنُها فيما قلتُه عن تكبيل حرية الأعضاء، وأرى أنها بحاجة إلى نقاش وتبين؛ ومفادها عندي: أننا وُجدنا في الحركة وأوجدنا الحركة وائتمرنا بأمر الحركة لكي نفعل وننجز، ولكي نُقْدم ونتقدم ونتعاون على الإقدام والفعل، ولم نتجمع لكي يمنع بعضنا بعضا، ولا لكي نمنع أعضاءنا مما يرونه مفيدا لدينهم ووطنهم وأمتهم. فالأصل في الوجه الأول (الإقدام والفعل والإنجاز) هو أن نجتهد فيه ونتواصى به ونأخذه بالعزم والعزيمة والانضباط. وأما الوجه الثاني (الامتناع والمنع من المبادرات والمشاركات)، فالأصل فيه هو عدم المنع بل ترك الناس أحرارا، ثم قد يحاسبون لاحقا على نتائج أفعالهم وما قد يظهر من إساءتهم. قديما كنت أقول ساخرا: إن وزارة الأوقاف تعني أن مهمتها التوقيف والمنع، تمنع الخطباء والعلماء وتوقفهم. بينما في الأصل يجب أن تكون هي التي تمكنهم من الفعل والتقدم في

مختلف الميادين وفي المعالجة الشرعية لمختلف القضايا، بينما هي الآن تمنعهم من معظم الميادين والقضايا والمشاركات، ومن حاد أوقفته. لكنها لا تحاسب المتهاونين والمتغيبين والمفَرِّطين. وكلنا نتذكر العالم الخطيب الذي أوقفوه وعزلوه لمجرد حضوره في مؤتمر للعلماء بمدينة اسطنبول. أليست هذه وزارة الأوقاف بمعنى توقيف الأعمال والعاملين؟!

أنا لا أريد أن نكون حركة أو منظمة إسلامية توقف أعضاءها عن مبادراتهم التي هم مرتاحون إلى صوابيتها وجدواها. لكن أريد أن نكون حركة تلحُّ وتحاسب على تنفيذ الالتزامات والبرامج والتكليفات، بانضباط وإتقان.

قضية انتماءاتنا المتعددة ومقاماتها المتفاوتة، (الإسلام، الأمة الإسلامية، أهل السنة، الوطن، الحركة، الحزب، النقابة...)، وخاصة حالات التعارض بين هذه الانتماءات ومتطلباتها، يجب أن نعترف أنها أيضا قضية غير مدروسة عندنا. وهي على كل حال ليست قضية ملحة، وذلك راجع أولا إلى التكامل والتوافق والانسجام الذي يسود غالبا تعاملنا معها، وثانيا بحكم أن العرف الجاري به العمل عند كافة الحركات والتظيمات، هو أن الكلمة العليا للتنظيم والانتماء التنظيمي، مهما بدا وبدا... فلذلك على العضو أيّاً كانت صفته وتقديره أن يُسَلِّم للتنظيم، ويترك ما يتوهمه من كذا وكذا...

لذلك فنحن إما نحتاج إلى شيء من النقاش والتبين والضبط لهذه القضية، وإما أن نتركها، على أن نعالج إشكالاتها ونتحمل تداعياتها – النادرة الوقوع – في حينها، ولكن ليس على أساس ما جرى به العمل، ولكن على أساس أنها «مسألة اجتهادية غير منصوص عليها».

إنذار مهم: ولادة حزب الله الشيعي في مصر!! الدور الخفي لمؤسسة آل البيت ومخطط اختراق أحزاب ليبرالية ويسارية

مصطفى زهران

المصريون – العدد الثامن عشر ٢٠١١/١٢/٨م

لم يعد المشهد المصرى فى ظل الصعود المتنامى للحركة الإسلامية بعد ثورة ال ٢٥ من يناير حكراً على أسماء بعينها أوتيارات محددة ظلت تتصدر المشهد لعقود، خاصة أن العنصر الشبابى مثل حالة فارقة فى خضم هذا الزخم الإسلامى المستحدث.

من هنا فقد أثار الحضور الشيعى القوى بعد الثورة المصرية علامات استفهام لملامح هذا الشكل المستحدث، الذى تزامن مع ظهور قوى لرموز شهيرة داخلة، ومدى ارتباط هذه الكيانات الشيعية الجديدة بالجمهورية لإسلامية الإيرانية، خاصة مع وجود ائتلافات شبابية لم تكن تكشف عن نفسها إلا بعيد الثورة وهو ما نحاول عرضه فى هذا التقرير مع العروج إلى المطالبات الجديدة لهذا الكيان المتفرق وغير المنظم والذى يسير وفق آليات مختلفة وفى طرق متباعدة.

ومن بين هذه الصور الشيعية الجديدة المستحدثة كانت هناك محاولة جادة من قبل مجموعة شبابية حديثة العهد بالانتماء إلى المذهب الشيعى الاثنى عشرى الجعفرى والذى بدا صوتهم وظهرت ملامح صورهم تلوح فى الأفق مع بدايات الثورة المصرية.

وتمثل أول ظهور علنى لهم على الساحة المصرية فى إصدار أول بيان لهم فى الثامن من فبراير الفائت أى فى بداية الثورة والذى طالب خلاله البيان قيام دولة مدنية ديمقراطية وكانت بمثابة المخاض الجديد لهذا الكيان الشبابى الشيعى

المـصرى الوليـد فى محاولـة مـنهم لمزاحمـة التيـارات الـسنية الأخرى علـى الساحة المصرية ورغبة جامحة فى أن يكـون لهـم دور، خاصة أن الثورة كان ساعدها الأول ومحركها هـم العنصر الشبابى.

خليط ومزيج من الشباب المصرى من عدة محافظات مختلفة شكلوا هذا الكيان الشبابى الشيعى الجديد. ويقول ضياء محرم « وهو شاب عشرينى من القاهرة إن ميدان التحرير كان نقطة التقاء هذه المجموعة التى أعلنت تشيعها لمذهب آل البيت منذ عدة سنوات.

ونظراً لما كان عليه الوضع قبل الثورة من التضييق الأمنى ولولا الثورة المصرية ماكان هذا التجمع وماكانت هذه الخطوات التى وصفها محرم بالجريئة حسب قوله.

مضيفاً أن أول خطوة تذكر صوب التعريف بنا كشباب متشيع يحاول أن يكون له دور مؤثر ينعكس إيجابا على مصر وعلى مذهب آل البيت وكان التعاطى الجيد مع شبكات التواصل الاجتماعـى لنكـون جنبـا إلى جنـب مـع الائتلافـات الـشبابية الأخرى. فكانت أولى صفحاتنا على الفيس بوك شبكة « مصر الفاطمية» تتناول الأخبار العامة لكى تكون على اتصال دائم مع جمهور الفيس بوك خاصة الشباب.

وتلت هـذه المحاولـة إنشاء «منتـدى لمحبـى آل البيـت » بنفس الاسم السابق، لكى تستوعب دائرة أوسع ولتحقق الجزء الذي لن يكتمل إلا بها وهى مخاطبة الجمهور المصرى كافة.

وللإعلان على أول كيان شبابى شيعى..ونجحنا فى وضع قناة على اليوتويب أيضا.

ويؤكـد محرم أنهم تابعون لمرجعية السيستانى وصادق الشيرازي إلى جانب مرجعيات فقهية أخرى متنوعة. مؤكداً على تواصلهم غير المنظم على حد وصفه بمؤسسة « آل البيت» الذى يترأسها محمد الدرينى، وأيضا «حزب التحرير» الشيعى الذى يقوده راسم النفيس. إلا أن محرم يؤكد على أفكاره الداعمة للتواصل مع الشباب، خاصة جيل الثورة.

ويؤكد محرم أنه ومجموعته الشبابية يسعون جاهدين لأن يكون لهـم صوت وتكتل خاص ينمو يوماً بعد يوم مشدداً على العنصر الشبابى داخله.

مـشيراً إلى انهـم موزعـون عـلى التيـارات الليبراليـة والـسياسية الأخـرى بخـلاف الإخـوان والـذين يـصفهم بـ«المتأسلمون» ويتاجرون بالدين –على حد تعبيره– بالإضافة إلى ثقـتهم في المرشـح النـاصري «حمـدين صـباحى » والـذى يجدونـه الرجـل المناسـب للمرحلـة القادمـة وسـيقومون بدعمـه بالإضافة إلى البرادعى.

وي رى محـرم أنـه مـن الأهميـة بمكـان أن يـسمح لهـم كشباب متشيع فى أن تكون لهم حسينياتهم وأن تقام مجالس عزائهم واحتفالاتهم بكل حرية شأنهم فى ذلك شأن أى مصرى لكونهم جزءًا لا يتجزأ عنهم.

إنشاء مركز للدراسات و وجمعية مشهرة قانونية كانت آخر الأشكال التي عبر بها أول كيان شيعى شبابى فى مصر عن أنفسهم. خاصة أنهم باتوا يجمعون انفسهم بشكل منظم في الفترة الأخيرة مع ندرة المعلومات التي تتحدث عـن تمويلهم الداخلى والخارجي إلا أننا يمكننا القول إنهم يسيرون بخطى ثابتة نحو تحقيق مكتسبات حقيقية على الأرض خاصة فى ظل غياب القيود الأمنية التي كان يفرضها النظام البائد على الحالة الإسلامية بشكل عام.

«الدرينى والتغريد خارج السرب»

محمد الدرينى، رئيس المجلس الأعلى لآل البيت فى مصر الرجل الأكثر غموضاً وحراكاً لم يمل منذ اللحظات الأولى من الثـورة فى اسـتغلال الوقـت والفرصـة لتحقيـق رؤيتـه الـشيعية الجديدة فى الداخل المصرى والتى عبرت عنها بقوة رسائله إلى

المجلس العسكرى ومجالساته معهم بعد أن كان محظورا عليه مثل هكذا لقاءات فى الماضى القريب. وذلك بعد ان وجد لنفسه موقعًا داخل الائتلافت الثورية الجديدة التى تعددت أسماؤها وعناوينها، والتى تجاوزت المئات في ظل غياب الدور الجاد المنوط بها هذه الائتلافات.

«المذهب الجعفرى وسياحة العتبات المقدسة»

طالب الدرينى خلال حضوره لقاء نائب رئيس الوزراء د. على السلمى الأخير لوضع المبادئ الحاكمة للدستور والذى جمع عدداً من القوى السياسية والتيارات الإسلامية والدينية بأن تتضمن الوثيقة الجديدة الأخذ بالمذهب الجعفرى الذى أجاز الأزهر الشريف التعبد به حسب قوله وذلك فى البند الخاص القائل بأن الشريعة الإسلامية المصدر الرئيس للتشريع.

ولم تقف مطالبات الدرينى عند هذا الحد بل دعا إلى إنشاء ما سماه بالشرطة القضائية فى البند الخامس مع تعظيم المطلب السابع الخاص بحماية النيل مؤكداً أن ثمة تقارير استخباراتية تشير إلى احتمال نشوب حرب فى أعالى النيل وأن الجيش المصرى يعد لحملة عسكرية هناك فى الأدغال ولذا وجب تعظيم الفقرة حسب قوله.

وكشف الدرينى عن لقاء عقد مؤخراً بينه وبن نقيب الأشراف السيد محمود الشريف، أعلن خلاله تبنى نقابة الأشراف لأفكار الدرينى والتى تضمنت إنشاء بنك للسادة الأشراف باسم آل البيت لتمويل مشروعات طموحه، خاصة بهم وكذلك مشروع العتبات المقدسة ومشروع تشجير مسار آل البيت والعائلة المقدسة.

وينظر الدرينى إلى فكرة« تشجير مسار آل البيت » السالفة الذكر التى طرحها باعتبارها مشروعًا حضاريًا وإنسانيًا واقتصاديًا وفكريًا أيضا وأهم تلك الملامح الأساسية لهذا المشروع والتى وضعها الدرينى هى التأكيد

على الجانب الاقتصادى العائد من خلال فتح باب المشاركة للجموع من داخل وخارج مصر والمساهمة فى هذا المشروع كمشروع يخدم البيئة وأمن والاستقرار عالمياً كما ورد بالرسالة التى أرسلها الدرينى إلى رئيس الوزراء عصام شرف بالتزامن مع وزير الثقافة المصرى.

وموضوع«تشجير مسار آل البيت » الذى طرحه الدرينى يبدأ من القاهرة إلى حدود مصر ويتقاطع مع ما وصفه الدريني بمسار العائلة المقدسة مع مسار آل البيت في طور سيناء وبالقرب من وادى فيران حيث دير سانت كاترين وما أطلق عليه الدرينى «مخشع الإمام على كرم الله وجهه وهى بأكملها مصدر جذب لأصحاب المذهب الجعفرى الشيعى فى العالم لما ينظرون إليها على كونها لها قداسة خاصة فى معتقداتهم التى لا تتوافق ومعتقدات أهل السنة.

«أول حزب سياسى شيعى مصرى »

فكرة أن يكون للشيعة حزب سياسي فكرة ليست جديدة ولكنها فكرة تم تأجيلها قبل ذلك، فراسم النفيس القيادى الشيعى كان ضمن صفوف جماعة الإخوان المسلمن فى وقت من الأوقات والطاهر الهاشمى الذى كان صوفياً اندفاعًا بقوة نحو تحقيق هذا الحلم وترجمته على أرض الواقع وكانت البداية نحو إقامة حزب التحرير المصرى.

وقدم الحزب أوراقه إلى لجنة شئون الأحزاب بتوكيلات بلغ عددها ٥٣٠٠ توكيل وفقاً لحديث راسم النفيس.

و عرف الحزب نفسه عبر برنامجه بأنه حزب مدنى يسعى إلى تحقيق التحرر الوطنى الكامل والدفع فى طريق التنمية المستدامة من خلال السعى إلى تحقيق ما سماه بالاستقلال الوطنى الكامل للبلاد فى كل المجالات، وانتقد بشدة عبر برنامجه، فى كلمته التمهيدية تلك الأحزاب التى يقال إنها ذات المرجعية الإسلامية الخاصة.

ووضع البرنامج للحزب الشيعى تصورًا للمرأة جاء فيه أنها نصف المجتمع، واستمد الحزب رؤيته تجاهها من التراث الإنسانى المقدس وغيره، لتصبح تلك المرأة القادرة على الولوج فى المجتمع بنفسها، لا بما يمليه

عليها الآخرون، وفقا لما ورد فى برنامج الحزب، مضيفا أنها -أى المرأة- شريك كامل فى المجتمع لا مخلوق من الدرجة الدنيا، وشدد على حق المرأة فى ممارسة حريتها السياسية فى جميع المناشط من أقل مستوى ممكن إلى أعلى مستوى تقدر عليه، ما دامت ملكت القدرة على الاطلاع على هذه المهام ورأى المجتمع أنها قادرة على ذلك.

ومن المرأة إلى المواطنة رفض الحزب مبدأ ما سماه بالأقليات والجماعات العرقية والطائفية التى وصفها «بالسوق السوداء السياسية»، واعتبر الحزب أن مبدأ المواطنة يتجسد جليا عبر المشاركة الكاملة فى جميع الحقوق والواجبات. الحزب شدد على أن الوطنية المصرية هى القاسم المشترك الذى يجمع أفراد المجتمع، خصوصا أنهم أمام القانون سواء، مع ضرورة انتفاء الفوارق بين مصرى ومصرى فى المناصب العليا وغيرها، نظرا لاختلاف الدين أو المذهب أو العرق أو الجنس أو الموقع الجغرافى.

المواطنة التى حازت مساحة كبيرة فى برنامج الحزب اشتملت على ورقة علاج من خلال تفعيل الدور الكنسي المتمثل فى الكنيسة القبطية المصرية فى قضايا العلاقات الخارجية المصرية.

والأقلية والمواطنة هما إشكاليتان يحاول الحزب التشديد على مركزيتهما ليقفز عليهما من أجل ترويج المذهب الشيعى وإلغاء مصطلح الأقلية الشيعية ويصبح الأمر فى مشهد مختلف.

ولم تغب القضية الفلسطينية عن برنامج الحزب، التى عبر عنها من خلال وضع ما استراتيجية الحزب تجاه سماه باستراتيجية الحزب تجاه القضية الفلسطينية والمقاومة. والتى تتشابه كثيراً مع تلك الأحزاب الشيعية الأخرى المتواجدة فى المنطقة العربية على وجه الخصوص التى تتشدق ليل نهار عن فكرة تأصيل نظرية المقاومة وهى لب دعوة الخومينى منذ مايقرب من نصف قرن والتى تتبعها الكثير من الأحزاب الشيعية وتضعها وفق برامجها إلى يومنا هذا.

وتمثلت تلك الدعوة إلى المقاومة فى الإستعداد والتأهب لمواجهة أي عدوان محتمل من هذا الكيان الغاصب للقدس، ودعم قوى المقاومة الإسلامية والعربية - سياسيا وإعلاميا — والدفاع عنها في المحافل الإقليمية والدولية لحين قبول العدو بإعادة كامل الحقوق الفلسطينية المغتصبة وأولها حق العودة، والعمل على تعزيز وحدة الشعب الفلسطينى، خصوصا قوات المقاومة، وتعزيز الوحدة الإسلامية والعربية، وتقوية العلاقات بين هذه الدول باعتبارها حجر الأساس لصيانة حقوق العرب والمسلمن عامة والشعب الفلسطينى خاصة، وتحصين مجتمعاتنا العربية من الاختراق الصهيونى، وإيقاف شتى صنوف التطبيع مع العدو الذي يصر على استكمال خططه العدوانية، وهو يعد الآن العدة لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم على أطلاله، وإعلاء ثقافة المقاومة وحض الشعوب على العربية على اعداد العدة لمواجهة أى عدوان صهيونى محتمل على مقدساتنا.

شيعة الحزب لم يغفلوا قضية الحريات، باعتبارها قضية مركزية فى التحرر الوطنى، سواء كانت هذه الحرية (حرية الاعتقاد أو حرية التعبير وحرية) وباعتبارها حقاً دستوريًا يكفله القانون والدستور.

ومن هنا تتضح فكرة الحزب والتى تدفعنا إلى التكهن إلى أنها بداية لقيام حزب وليد على غرار حزب الله يتبنى فكرة المقاومة فى ظاهرها ويبطن أفكار أخرى لا يعلم عنها إلا الله بداية من فكرة تصدير الثورة إلى أبعد ما يمكننا تخيله أو استقصائه، خاصة أن الحزب والذى رفضت لجنة شئون الأحزاب مؤخراً أوراقه كشف عن شرخ كبير داخله، بعد اتهام ناشط مصرى يدعى

وليـد عبيـد مؤسسـى الحـزب راسـم النفـيس والطـاهر الهاشـمى بأنهما اتجها إلى التقية فى التعامل معه، خاصة أنه مؤسس الحزب الرئيس وتابع معه ولادته ثم انقلبا عليه وتصدرا المشهد الإعلامى على أنهما هما الأباء المؤسسين للحزب.

إلا أن النفيس خرج بتصريح أكد خلاله إلى أن ماحدث معه من قبل لجنة شئون الأحزاب ما هو إلا دلالة واضحة وقوية على أن نظام مبارك الأمنى مازالت قبضته هى الحاكمة والآمرة، الأمر الذى يعكس القفزة النوعية للدور الشيعى المصرى بعد الثورة.

غزو عشرات المراجع الإيرانية للنجف للهيمنة على مرجعيتها

موقع العراق للجميع

نقلا عن سني نيوز ٢٠١١/١١/٢٣م

يهيّئ المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي مرجعا شيعيا مقرباً منـه هـو آيـة الله محمـود الـشاهرودي، بـشكل تـدريجي وهادئ لخلافة المرجع الشيعي الأعلى في العراق، آية الله السيد علي السيستاني، لتحقيـق هـدفين الاول يتمثـل بنقـل مبـدأ ولايـة الفقيه إلى العراق، والثاني هيمنة مرجعية مدينة قم الإيرانية، على المرجعية الشيعية العليا في النجف العراقية، وسط معلومات لم تؤكـد بعـد عـن إمكانيـة اختيـار حـزب الـدعوة الإسـلامية بزعامـة المالكي، للشاهرودي مرجعا دينيا له.

خامنئي يباشر خطوات لفرض ولاية الفقيه في العراق :

أبلغ باحث ومهتم في شؤون المرجعية الشيعية «إيلاف»، أن إيران باشرت خطوات عملية خطيرة لفرض هيمنة مرجعية قم لولاية الفقيه، على المرجعية الشيعية في النجف نظراً لأهمية هذه المرجعيـة إسـلاميا وعالميـاً. وقـال إن المرشـد الأعـلى للثـورة الإيرانيـة عـلي خـامنئي قـد بـدأ بـزجّ المرجـع الـشيعي الإيـراني محمود الشاهرودي في هذه المهمة، حيث افتتح له مؤخراً مكتبا في النجف، سيتابعه بزيارات متقطعة يقوم بها إلى العراق تستغرق الواحـدة منهـا بـين شـهر وثلاثـة اشـهر قبـل ان يـستقر في المدينـة العراقية المقدسة بعد فترة عامين او ثلاثة.

واضاف الباحث الـذي فضل عدم ذكـر اسمه أن الشاهرودي (٦٢ عامـا) وعـلى الـرغم مـن اصـوله الإيرانيـة حيث ينتمـي إلى مدينـة شـاهرود الإيرانيـة، إلا أنـه ولـد في النجـف العراقيـة وكـان عـضواً في حـزب الـدعوة الاسـلامية الـذي يتزعمـه حاليـاً رئـيس الوزراء العراقي الحالي نوري المالكي، لكنه غادر إلى إيران في مطلع الثمانينات إثر اعتقال نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين له لفترة وجيزة.

وأوضـح ان خـروج الـشاهرودي مـن حـزب الـدعوة لم يكـن لخـلافٍ معـه وانـما لتفرغـه للدراسـة الحوزويـة في إيـران آنـذاك. وأشـار إلى انه من هنا جـاءت بعض المعلومات التي أفادت أنه سيأتي إلى العراق ليكون مرجعا أعلى لحزب الدعوة لكنه نفى ذلـك قـائلاً إن الحـزب قـد شـطب مـن نظامـه الـداخلي في وقـت سابق، تسمية مرجع شيعي بعينه ليكون مرجعا أعلى لـه، غير أن هذا لا يمنع وجود علاقة طيبة بين المالكي والشهرودي حاليا.

وفي إيـران تـولى الـشاهرودي منـصب رئـيس مجلـس القـضاء الاعلى، في اواخـر الثمانينات ولمدة ثماني سنوات، بتوصية من خامنئي الذي درّسه أصول الفقه وهي واحدة من المناصب العليا في هذا البلد، ثم أصبح عضوا في مجلس تشخيص النظام الذي يترأسه الرئيس الإيراني الأسبق هاشمي رفسنجاني، ثم عضوا في مجلس صيانة الدستور وهو المنصب الذي يحتفظ به لحد الآن. وخلال وجوده في النجف كان اسمه محمود الهاشمي وهو من مقلـدي آيـة الله الراحـل محمـد صـادق الـصدر (والـد مقتـدى الصدر)، لكن خامنئي فرض عليه تغيير لقبه حين قرّبه منه فأصبح اسـمه محمـود الـشاهرودي، والآن وضـمن خطـوات إعادتـه إلى العراق، فقد تغير اسمه للمرة الثانية حتى أصبح محمود الهاشمي الشاهرودي، جامعا بين اللقبين العراقي والإيراني.

ويراهن خامنئي على خلافة الشاهرودي للسيستاني، نظراً لصغر سنه مقارنةً بأعمار المراجع الشيعية العليا، حيث يبلغ عمره ٦٢ عاما فيما دخل السيستاني عامه الـ ٨١، وهو من مواليد الرابع من آب/ أغسطس عام ١٩٣٠.

استغلال القطيعة بين السيستاني والساسة العراقيين

وأشار الباحث إلى أن أعين الإيرانيين بقيت معلّقة على مرجعية النجف، منذ سقوط النظام العراقي السابق، لكنهم كانوا يشعرون بالتخوف من خوض هذه المغامرة نظرا لقوة المرجع السيستاني في العراق وهيمنته على الأوضاع الدينية. لكنهم وفي الفترة الأخيرة وبعد سوء علاقته مع السياسيين العراقيين، وبعد أن أعلن مقاطعته لهم منذ أشهر ورفض استقبال أي منهم كما جرت العادة خلال السنوات الثماني الماضية، بسبب احتجاجه على عدم تنفيذهم لوعودهم بتحسين أوضاع المواطنين وتوفير الخدمات الاساسية لحياتهم، إضافة إلى تفشي الفساد المالي والإداري في أجهزة الدولة، شعر الإيرانيون أن الظروف قد أصبحت مناسبة الآن للزج برجل دين يمثل مرجعيتهم في العراق للتدخل في السياسة. وأشار إلى أنه ومن أولى هذه الخطوات وجود ممثلين عن الشاهرودي في النجف، وافتتاح مكتب له على بعد خطوات من منزل السيستاني في تحد واضح للمرجعية الشيعية العليا.

وعن الوسائل التي سيستخدمها مكتب الشاهرودي في النجف لكسب مقلدين ومريدين في العراق، اشار إلى أن تنفيذ هذه الخطوات قد بدأ فعلا، حيث قام المكتب بتوزيع مرتبات على طلبة الحوزة العلمية في النجف، بواقع مليون دينار عراقي (حوالى الف دولار) لكل واحد من طلبة الحوزة الذين يقارب عددهم العشرة آلاف من مختلف الجنسيات. وأوضح ان هذا الإجراء ليس مستغرباً فمن المعروف أن كل رجل دين شيعي يهيئ لإعلان مرجعيته بتوزيع مرتبات على طلبة الحوزة. وفي هذا الإطار أشار الباحث إلى أن الشاهرودي نفسه، قام قبل ثلاث سنوات بمحاولة توزيع ملابس على طلبة الحوزة لكنهم رفضوا ذلك كما رفض البعض منهم الآن استلام مبلغ المليون دينار، بتحريض من مرجعية السيستاني ومقلديه. وأضاف ان مكتب الشاهرودي يعدّ الآن من أجل كسب الشيعة تعيين ممثلين لهم في مختلف المدن والبلدات العراقية، حيث سيسعون إلى كسب مقلدين لمرجعية الشاهرودي ثم الدخول إلى اوساط العراقيين عن طريق إنشاء مستشفيات ومدارس ومؤسسات إجتماعية ومراكز بحوث.

الإصرار على المضي في مهمة ليست سهلة

وفيما إذا كان لهذه الهجمة المرجعية الإيرانية علاقة بانسحاب القوات الأميركية من العراق نهاية الشهر المقبل، استبعد الخبير ذلك موضحاً أن هذا الامر كان يطبخ على نار هادئة في قم، وفي الدوائر المحيطة بخامنئي منذ ثلاث سنوات. وأشار إلى أن مهمة الشاهرودي في العراق لن تكون سهلة نظراً لوجود مراجع شيعية أقدم منه، مثل محمد سعيد الحكيم واسحاق الفياض وغيرهما، ترى أنها الأحق في خلافة السيستاني، لذلك فهي ستقف بوجه سعيه للهيمنة على مرجعية النجف، لكنه توقع انتصاره على هذه التحديات نظراً للدعم المادي والمعنوي والإعلامي الضخم الذي سيحظى به من قبل أهم الدوائر الدينية والرسمية الإيرانية وفي مقدمتها المرشد خامنئي.

وتقول تقارير إنه إلى جانب الشاهرودي الذي يعتبر نجفي النشأة، إيراني النضوج والمشرب السياسي، يقف أساتذة عراقيون من الطراز نفسه، نشأوا في مدينة قم الإيرانية، ويعتبرون مقربين من إيران حاليا قد يمثلون «لوبي إيراني» أخذ بالتشكل إستعداداً لخلافة المرجع السيستاني. وتشير إلى ثلاث شخصيات يشكلون «اقطاب مثلث قادم من قم، يحاول إحكام السيطرة على الحوزة النجفية» حيث يقود هذا اللوبي المحسوب على إيران، كل من

آيات الله الشيخ هادي آل راضي والشيخ باقر الايرواني، ومحمود الشاهرودي، وكلهم من اساتذة قم البارزين. وأوضح أن مخاوف بعض مراجع الشيعة في النجف من هؤلاء يعود إلى القوة العلمية لهذه الشخصيات باعتبارهم أساتذة مارسوا التدريس لاكثر من ثلاثة عقود في حوزات قم .

انقسام في حزب الدعوة حول مرجعية الشاهرودي

وعلى الصعيد نفسه، أشار قياديون بارزون في حزب الدعوة إلى وجود انقسام حاد يعيشه الحزب منذ وفاة المرجع اللبناني محمد حسين فضل الله في حزيران/ يونيو عام ٢٠١٠، والذي كان يمثل الغطاء المرجعي لهم، موضحين أن الانقسام بلغ ذروته مع طرح اسم آية الله محمود الهاشمي الشاهرودي، كشخصية يمكن ان تعوّض غياب فضل الله، وخاصة مع افتتاحه لمكتبه بشكل رسمي في النجف وسط عدم ارتياح في الحوزة العراقية هناك.

وأضاف القياديون أن جناحاً آخر في حزب الدعوة يرفض تبني مرجعية رجل الدين القادم من قم، بسبب الإرتباطات الإيرانية لشاهرودي الذي شغل منصب رئيس السلطة القضائية في إيران لأعوام طويلة، ما سيعزز اتهامات التبعية لطهران التي توجه لحزب رئيس الوزراء نوري المالكي، كما نقلت عنهم صحيفة «العالم» في بغداد اليوم الاثنين. وقالوا إن «حزب الدعوة منقسم بشدة حيال الرجوع إلى الشاهرودي، حيث إن هناك اليوم جناحين : أولهما المؤيدون لذلك، يتقدمهم الشيخ عبد الحليم الزهيري والنائب حسن السنيد ومعهم حزب الدعوة تنظيم العراق، وكل هؤلاء يرتبطون بعلاقة مميزة مع إيران، لانهم عاشوا طيلة العقدين الماضيين فيها معارضين للنظام العراقي السابق. وأوضحوا ان «الجناح الرافض لمرجعية الشاهرودي يتزعمه كل من حيدر العبادي وحسين الشامي بما يسمى تنظيم لندن بحزب الدعوة»، مشيرين إلى ان «هذا الجناح يرى ان الارتباط بمرجعية معروف عنها قربها من القيادة الإيرانية والمؤسسات الأمنية للحرس الثوري، سيعزز الإتهامات التي تواجه الحزب بأنه تنظيم سياسي مرتبط بإيران .

الشاهرودي في النجف وسيتبعه العشرات

وكان قد افتتح رسمياً في النجف في الثالث عشر من الشهر الحالي مكتب المرجع المقيم في إيران محمود الهاشمي الشاهرودي، بمقاطعة من مكتب السيستاني وحضور ممثلين عن مراجع الدين إسحاق الفياض وبشير النجفي ومحمد سعيد الحكيم وعدد من طلبة العلوم الدينية في النجف. وقال مدير المكتب ابراهيم البغدادي إن «افتتاح المكتب يأتي دعماً لجهود لملمة البيت الذي نعيش تحت ظلّه وهو العراق» مشيراً إلى أن «المكتب سيعمل على مساعدة المعوزين والأسر الفقيرة والأرامل والجرحى والأيتام، كما سيفتح أبوابه تدريجياً لخدمة طلبة الحوزة العلمية». وأوضح في تصريح نقلته وكالة السومرية نيوز العراقية أن «افتتاح المكتب يهدف أيضاً إلى محاربة الثقافة الغربية الدخيلة على البلد والتي غيرت بعض ممارسة الشباب وبعض الأسر» لافتا إلى «وجود العديد من مقلدي المرجع الهاشمي الشاهرودي في العراق».

ومن جهته كشف محافظ النجف عدنان الزرفي، عن قرب قدوم عشرة علماء كبار من إيران إلى العراق في أعقاب قدوم الشاهرودي، وأكّد أن مرجعية الأخير ربما ستغني في جانب من الجوانب الثقافية الحوزوية مشيرا إلى أن النفوذ الإيراني يعد طموحا بالتمدد في العراق لاسيما بالحوزة.

وقال الزرفي إن «قدوم المرجع محمود الهاشمي الشاهرودي إلى النجف سيعقبه قدوم عشرة علماء كبار أو أكثر من إيران كما عاد العشرات من قبل». وأضاف أن «المرجعية الدينية الحالية في النجف والمتمثلة بزعامة

السيد علي السيستاني، فاعلة وحيوية وقد أخذت الدور الأبرز على المستوى الوطني والإقليمي كونها تمثل الاعتدال الديني والثقافي ولم تنجر لأي حدث من الأحداث» مشيراً إلى أن «الشاهرودي إذا طرح نفسه كمرجع لا يمكن أن يكون أداة بيد الدولة». وشدد على أن «النفوذ الإيراني يعد طموحا للتمدد بأي منطقة من المناطق العراقية وبالحوزة بالذات، وهو ليس بجديد فهناك العشرات من العلماء الإيرانيين وغيرهم جاؤوا إلى النجف وأصبحوا مراجع».

وأكد محافظ النجف أن «قرار المرجعية يعد واحدا ولا يمكن تجاوز المرجع الأعلى بأي شكل من الأشكال، لذلك فإن عودة المرجع الهاشمي لا تستوجب ذلك القلق المفرط من قبل البعض». واعتبر أن «الشارع الشيعي مقسم ومفروز من ناحية التقليد، وهناك مرجعيات واضحة ومقلدوها أيضا واضحون».

وقد ولد الشاهرودي عام ١٩٤٨ في محافظة النجف، وهو أول من تزعم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق قبل زعيمه الراحل محمد باقر الحكيم، الذي قضى بتفجير سيارته في النجف صيف عام ٢٠٠٣ بعد فترة قصيرة من عودته من إيران، كما يعد أحد أبرز تلامذة السيد محمد باقر الصدر، مؤسس حزب الدعوة الإسلامية مطلع ستينات القرن الماضي. ويعد محرك المعارضة العراقية التي كانت تتواجد في إيران كما أنه مؤسس تشكيلاتها والمشرف عليها، وهو مهندس الإرتباط بينها وبين السلطات الإيرانية العليا طيلة عقد الثمانينيات من القرن الماضي وحتى سقوط النظام العراقي .

إسرائيل أمدت إيران بمعدات للتجسس على الإنترنت والاتصالات

محمد نعيم
إيلاف–٢٠١١/١٢/٢٤م

كشفت معطيات جديدة عن حصول إيران على معدات من شركة إسرائيلية، للتجسس على رسائل البريد الإلكتروني واتصالات الهواتف الخلوية. وفي حين نفت إسرائيل علمها بالهدف الأخير للصفقة، أكّد عمّال في الشركة عينها عكس ذلك، فيما أفاد خبراء باعتماد النظام التونسي السابق على مثل هذه الأجهزة للهدف ذاته.

لم تمضِ أيام على إزاحة الستار عن تعامل ما يربو على ٢٠٠ شركة أجنبية في إسرائيل سراً مع إيران، إلا طالعتنا تقارير موثقة بتورط إحدى الشركات الإسرائيلية العاملة في مجال تكنولوجيا الاتصالات بتهريب صفقة معدات استخباراتية لتعقب الانترنت لإيران، ورغم مرور بضع سنوات على تمرير تلك الصفقة، إلا أن وكالة الأنباء الاقتصادية (بلومبرغ) كشفت النقاب عن القضية، التي ألقت الصحف الإسرائيلية الضوء بقوة عليها في محاولة لرصد تفاصيلها.

وسيط دنماركي قام بالمهمة السرية

ووفقاً لتقرير نشرته صحيفة يديعوت احرونوت الإسرائيلية، تؤكد المعطيات والأدلة الدامغة، تورط شركة (ألوت) الإسرائيلية، المعنية بإنتاج التقنيات التكنولوجية في تزويد إيران بمعدات استخباراتية لتعقب شبكات الانترنت في إيران وخارجها، وتفيد معطيات التقرير الذي استند إلى خبر نشرته وكالة (بلومبرغ) الاقتصادية، بأن الحديث يدور حول معدات تكنولوجية عالية التقنية، تمد الدوائر المعنية في طهران بمعلومات موثقة حول نشاط شبكات الانترنت، وقام وسيط

دنماركي بنقل هذه المعدات إلى إيران، وعن هذا الوسيط تقول الصحيفة الإسرائيلية «انه شركة قامت بشراء المعدات من الشركة الإسرائيلية لصالح الدولة الفارسية».

وتعقيباً على تلك المعلومات، نفت شركة (ألوت) الإسرائيلية الاتهامات المنسوبة إليها، وقالت في بيان وزعته على وسائل الإعلام الإسرائيلية، أنها باعت بالفعل الصفقة التي يدور الحديث عنها، لكنها لم تعلم ولم يتسن لها معرفة ما إذا كانت وجهة هذه الصفقة ستكون في نهاية المطاف إيران.

وفي وقت وجهت دوائر اقتصادية في تل أبيب انتقادات لاذعة لوزارة الدفاع الإسرائيلية، على خلفية ما وصفته الدوائر بحسب الصحيفة العبرية التقاعس في الإشراف والرقابة على عمليات البيع، التي تقوم بها شركة (ألوت) وغيرها، للتأكد من المصدر الذي ستصل إليه منتجاتها، عقبت وزارة الدفاع الإسرائيلية على ذلك بقولها: «لقد أوقفنا صفقة مثيلة، كانت تعتزم إحدى الشركات الإسرائيلية تصديرها إلى تركيا، لكننا منعنا خروج الصفقة إلى حيز التنفيذ، تحسباً من وصولها في نهاية المطاف إلى إيران عبر أنقرة».

وطبقاً لمعلومات الصحيفة، تلقت إحدى الشركات الدنماركية المعنية بالتسويق وتدعى (رنتك)، وفي الدنمارك حذف مستخدمو الشركة أية هوية تشير إلى الشركة الإسرائيلية (ألوت)، وأعاد المستخدمون حزم المعدات مجدداً، ليتم نقلها دون هوية لشخص يُدعى (الحسين) في إيران، وتشير يديعوت احرونوت إلى أن (الحسين) هو الاسم الكودي لشخصية إيرانية، ترتبط بعلاقات متشعبة مع شركات في إسرائيل والدنمارك وغيرهما من دول العالم، وان الصفقة التي تلقاها من إسرائيل عبر شركة (رنتك) لم تخالف القوانين المعمول بها في الدنمارك.

وأوضحت المعلومات المنسوبة للصحيفة أن الشركة الإسرائيلية لم تكن على بينة بنشاط الشخصية الإيرانية التي وصلت له الصفقة، كما أنها لم تكن على علم بعملائه في الدنمارك أو في غيرها من الدول، غير انه اتضح بعد ذلك أن عدداً كبيراً من الأنظمة القمعية في مختلف دول العالم خاصة في منطقة الشرق الأوسط، اعتمدت على معدات مماثلة لكبح جماح المدونين والنشطاء السياسيين عبر بريدهم الاليكتروني، فضلاً عن تمكن المعدات عينها من مراقبة الهواتف الخلوية في كل مكان.

جمارك وأجهزة إسرائيل الأمنية

على صعيد ذي صلة نقل موقع وكالة (بلومبرغ) الاقتصادية عن دوائر في جمارك وأجهزة إسرائيل الأمنية، أن إسرائيل وأجهزتها الاستخباراتية لم تعلم أن تلك المعدات ستقع في نهاية المطاف بأيدي دولة معادية لتل أبيب، وفي الدنمارك أكدت السلطات المعنية أن شركة (رنتك) اشترت بالفعل هذه المعدات من إسرائيل، إلا انه لا يوجد في ملفاتها ما يشير إلى أن إيران حصلت على الصفقة من الشركة عينها، وحددت السلطات الدنماركية عام ٢٠٠٦ موعداً لخروج الصفقة من إسرائيل ووصولها إلى الدنمارك.

على الرغم من ذلك تحدث ثلاثة عمال سابقين في شركة (ألوت) الإسرائيلية عن الشخصية الإيرانية التي تدعى (الحسين)، مؤكدين أن القائمين على الشركة الإسرائيلية كانوا على علم بأن هدف الصفقة النهائي هو إيران، وان اسم (الحسين) كان اسماً كودياً ستتعامل معه الشركة الدنماركية لنقل الصفقة إلى طهران، إلا أن الشركة الإسرائيلية نفت ذلك، وقال مسؤول عنها لوكالة أنباء (بلومبرغ) الاقتصادية: «يتم فحص القضية للوقوف على أبعادها وتفاصيلها مع الشركة الدنماركية».

من جانبها تشير صحيفة يديعوت احرونوت إلى أن التكنولوجيا التي باعتها شركة (ألوت) الإسرائيلية تعتمد بالأساس على أغراض تجارية، إلا انه تم استخدامها لتعقب البريد الاليكتروني واتصالات الهواتف الخلوية، وقد اعتمد

عليها النظام التونسي السابق، عندما استخدمها في تغيير فحوى البريد الاليكتروني، كما أن التقنية عينها قادة على الحيلولة دون ارتباط المستخدم بشبكة الانترنت، واقتبست وكالة (بلومبرغ) عن خبير دول قوله: «إن المعدات الإسرائيلية التي يدور الحديث، مكنت النظام الإيراني وغيره في قمع وتعذيب العديد من النشطاء السياسيين والمدونين، بعد رصد نشاطهم على شبكة الانترنت، وعبر الاتصالات الهاتفية».

على الرغم من ذلك قال مسؤول في الشركة الإسرائيلية، إن المعدات التكنولوجية التي يدور الحديث عنها، مخصصة لمراقبة شبكة الانترنت في إطار محدود، يقتصر على مجال الشركات التجارية أو المصارف أو غيرها من مؤسسات، ولا تستطيع هذه المنظومات التحكم أو مراقبة شبكة الانترنت على نطاق واسع، ووفقاً للموسوعة العبرية، تشير أوراق شركة (ألوت) الإسرائيلية إلى أنها تمتلك العديد من الأسهم في بورصة تل أبيب وفي ناسدك، وان الشركة أعلنت العام الماضي ٢٠١٠، أنها حققت أرباحاً وصلت إلى ٥٧ مليون دولاراً.

سوريا: المعادلة الدولية وخيارات المعارضة

د. بشير زين العابدين
موقع مجلة البيان ١٤٣٣/١/٢٥هـ

اتسم المشهد السوري في الأسابيع الأربعة الماضية بحالة جمود جراء فشل المبادرات الخارجية في إيقاف العنف؛ حيث تعثرت مبادرات: مجلس الأمن، والاتحاد الأوروبي، والجامعة العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي، ولم تجد نصائح تركيا ودول مجلس التعاون الخليجي، ولم تردع تحذيرات فرنسا وبريطانيا وأمريكا النظام عن الاستمرار في انتهاك حقوق الشعب.

ونظراً لما ينتاب الأزمة السورية من تعقيدات تفضي إلى المماطلة وإلى المزيد من «المهل»؛ فقد استعصى فهم المواقف الإقليمية والدولية على المتابع العربي، وأصبح من المتعين تحليل الأزمة في إطار يساعد على فهما، وذلك من خلال اتباع أحد أهم مناهج التحليل الإستراتيجي التي تستخدمها مراكز الفكر الغربية في العقود الأربعة الماضية.

فمنذ أيام كيسنجر اعتمدت وزارة الخارجية الأمريكية نظرية: «المثلث الإستراتيجي» المتكون من محور وجناحين، تستخدم فيه المعادلات الرياضية كوسيلة لحساب: موازين القوى، وتحديد أطراف المعادلة الإستراتيجية، وتقييم قدرة كل طرف منها على التحرك والأخذ بزمام المبادرة، ومن ثم قياس ردود الأفعال المحتملة وكيفية التعامل معها.

ومن خلال استخدام هذه المعادلة يمكن توضيح المشهد السوري وتعقيداته فيما يلي:

أضلاع المثلث الإستراتيجي

أسفرت تطورات الثورة السورية عن تشكل ثلاثة محاور تتباين في مواقفها تجاه النظام، إلا أن أضلاع المثلث متساوية في أدائها السياسي، ولا تزال تفتقر إلى المحور، مما أوقعها في حالة جمود لم تنجح معه أي من الأطراف في فرض سياستها، وتتمثل الأطراف الثلاثة في:

١ - المحور الإيراني: الذي تدعمه روسيا والصين، وتدور في فلكه لبنان والعراق، ويسعى هذا المحور إلى دعم النظام السوري بهدف حماية شبكته التي ترتكز عليها مصالح سياسية واقتصادية وعسكرية، وتقف روسيا إلى جانب هذه الشبكة لأنها لا تؤثر على مصالحها في الوقت الحالي، وتمثل في الوقت نفسه أفضل وسيلة لصيانة مصالح موسكو في سوريا، وردع الدول الغربية وحلف شمال الأطلسي من الامتداد في منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط.

كما تتقاطع المصالح الصينية مع الروسية في الكثير من محاورها، مما دفع بكلتا الدولتين لاستخدام حق النقض ضد

قرارا يدين سوريا في مجلس الأمن، وقيامهم بتزويد دمشق بأنظمة صاروخية متطورة.

٢- المحور العربي: الذي يشعر بالقلق من تعاظم النفوذ الإيراني وتأثيراته السلبية على أمن هذه الدول واستقرارها، وقد انضمت تركيا إلى هذا المحور بسبب خشية مشتركة من امتداد شبكة النفوذ الإيرانية، وما تمتلكه من منظومات صاروخية متطورة وميلشيات طائفية تنزع إلى العنف تحت ستار «المقاومة»، كما يشارك الأتراك إخوانهم العرب في التخوف من احتمالات تأثير الأوضاع في سوريا على بلادهم، وإمكانية وقوع أزمات اقتصادية وأمنية واجتماعية، واندلاع نزاعات طائفية وإثنية سيكون لها تأثير سلبي بالغ على هذه الدول.

وعلى الرغم من السعي لاحتواء الأزمة بشتى الوسائل، إلا أن المحور العربي لا يريد سقوطاً مفاجئاً للنظام لما قد ينتج عنه من انعكاسات سياسية وعسكرية وأمنية تضر بمصالحها، ولذلك فإنها تسعى إلى التدرج في حسم المشهد.

٣- المحور الغربي: الذي تنشط فيه فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية بصورة خاصة، وتقف خلفه دول الاتحاد الأوروبي وإسرائيل، وترى هذه القوى أن أفضل وسيلة للحد من نفوذ إيران هو العمل على إسقاط النظام السوري، وتوفير بديل يحجم المد الإسلامي، ويتعهد باحترام الحدود القائمة مع دول الجوار (وعلى رأسها إسرائيل)، وينسجم مع الإستراتيجيات العليا للغرب والمتمثلة في «محاربة الإرهاب»، وحماية الممرات المائية، وتقديم التسهيلات لحلف شمال الأطلسي على أراضيه.

متى تشكل هذا المثلث؟

تشير صحيفة «هيرالد تريبون» أن الأزمة السورية هي التي أنتجت هذه المعادلة الإقليمية المعقدة، لكن جذورها قد تشكلت بصورة تدريجية خلال العقد الماضي من حكم بشار، فبعد أن نجح حافظ أسد في وضع سوريا كطرف أساسي في المعادلة الإقليمية، وامتلك أوراقاً قوية في لبنان وفلسطين، وتمكن من موزانة علاقاته مع الدول العربية وإيران، وتحالف مع الاتحاد السوفيتي لتحقيق سياسة الردع الإستراتيجي؛ جاء بشار ليضيع ذلك الإرث بأكمله، ففقد السيطرة على الملف اللبناني وعلى القضية الفلسطينية، وتعمقت عزلة نظامه في العالم العربي إثر تحول بلاده من «لاعب إستراتيجي» إلى «تابع» في المحور الإيراني.

ونتيجة لتراكم أخطاء السياسة الداخلية، وزيادة حجم المحسوبية؛ والفساد فقد اندلعت الثورة الشعبية، واقتصر جهد النظام على المعالجة الأمنية محلياً، والاعتماد على المنظومة الإيرانية والدعم الروسي إقليمياً، فأصبحت سياسته تراوح بين القمع والردع دون امتلاك أي من أدوات الممارسة السياسية الفاعلة.

وفي هذه الأثناء قام النظام بدراسة تجربتي التغيير القسري اللتين وقعتا في العراق (٢٠٠٣) وليبيا (٢٠١١)، فاستنتج بأن الخطأ القاتل الذي ارتكبه كل من صدام حسين والقذافي تمثل في تقديم تنازلات على صعيد برامج التسلح والتخلي عن سياسة الردع، مما شجع الدول الغربية على غزو بلادهم، فلجأ إلى التعنت واستخدام القتل كأداة للتفاوض مع الغرب، وقد عبر بشار عن هذه السياسة بقوله لقناة (إي بي سي) الأمريكية: «إنها لعبة نلعبها»

إشكالية غياب المحور والحلول

في تقرير أمني نشره معهد «ستراتفور» بتاريخ ١٥ ديسمبر أكد الباحث سكوت ستيوارت أن الوضع في سوريا قد اصطدم بحالة من الجمود الناتج عن فشل جميع الأطراف الإقليمية في حسم المشهد الإنساني المروع.

فقد بادرت روسيا إلى تزويد النظام بصواريخ جوية وبحرية متطورة، وأرسلت حاملة طائراتها الوحيدة وثلاث من قطعاتها

القتالية إلى ميناء طرطوس، وأكدت الصين أنها: «لن تكتفي بالشجب والإدانة، ولن تقف مكتوفة الأيدي في حالة تورط الغرب في أي مغامرة عسكرية ضد دمشق أو طهران»، في حين استمر الدعم اللوجستي من قبل فيلق القدس و«حزب الله»، وتضاعف الدعم الاقتصادي العراقي والإيراني لنظام دمشق.

أما المحور العربي-التركي فإنه لا يزال متخوفاً من الآثار السلبية لتدويل الأزمة، وغير مستعد للتبعات الاقتصادية المترتبة على تفعيل المقاطعة، ورافض لإحداث تغيير فعلي على أرض الواقع خارج إطار «الضغوط» و«المهل»، فالتركيبة الجغرافية لسوريا لا تسمح بتأسيس قاعدة ارتكاز للتمرد مثل بنغازي في ليبيا، ولا تزال الدول المجاورة غير مقتنعة بجدوى أي عمل عسكري ضد النظام.

وفي المقابل؛ يعدّ المحور الغربي العدة لتنفيذ خطة بديلة لإسقاط النظام مستفيداً من عنصر الوقت، ويسعى إلى تنفيذها عبر ثلاث مراحل رئيسة هي:

- المرحلة الأولى: إدانة النظام في المحافل والمنظمات الدولية، ودعم جهود نزع غطاء الشرعية عنه، والسعي إلى تعميق عزلته، وإضعافه من خلال الحصار الاقتصادي، إضافة إلى دعم المعارضة لتنظيم صفوفها، وقد تم إنجاز جزء كبير من هذه المرحلة، حيث قامت فرنسا وبريطانيا باستقبال زعماء المعارضة، واجتمعت معهم وزير الخارجية الأمريكية كلنتون في جنيف بتاريخ ٦ ديسمبر ٢٠١١.

- المرحلة الثانية: تصعيد وتيرة الجهود الاستخباراتية ضد النظام السوري، من خلال تدريب ودعم وتجهيز القوات المنشقة، ومن ثم توجيهها للقيام بعمليات نوعية تؤدي إلى إسقاط النظام، وفي هذه المرحلة تلجأ الدول الغربية إلى تدريب المتمردين في بلدان مجاورة، وإخضاعهم لدورات تؤهلهم على تولي زمام الأمور في حالة سقوط النظام.

- المرحلة الثالثة: توجيه القوات المنشقة لشن عمليات عسكرية واسعة بعد أن تبلغ مرحلة متقدمة من الجهوزية والاستعداد، ويمكن في هذه المرحلة إرسال الخبراء والفنيين الغربيين لدعم القوات المعارضة في حملاتها، على النحو الذي حظي به تحالف الشمال في معاركه ضد طالبان وكذلك المتمردون الليبيون في معركتهم الأخيرة بطرابلس، وفي هذه الأثناء يتم تصعيد حركات الانشقاق والتمرد على مستوى القيادة السياسية والعسكرية داخل النظام.

ومن خلال رصد عمليات الجيش السوري الحر وتقييمها، رأى سكوت أنها تنفذ عملياتها باستخدام أسلحة تقليدية، ولا تتمتع بأي دعم لوجستي يستهدف بنية النظام، واستنتج أن دعم المعارضة لا يزال في مرحلته الأولى، ولم يصل إلى المرحلة الثانية أو الثالثة من التسليح والدعم المباشر، كما أن قلة عدد المقاتلات وحاملات الطائرات الغربية لا تشير إلى أن احتمال التدخل العسكري يلوح في الأفق.

المبادرة العراقية للتوفيق بين الأطراف المتنازعة

استبعدت الدول الغربية خيار مجلس الأمن إثر استخدام روسيا والصين حق النقض لإفشال قرار يدين سوريا في شهر أكتوبر الماضي، وفي الوقت نفسه أعلن الأتراك وقف جهودهم الدبلوماسية الهادفة إلى إقناع النظام بنبذ العنف وتغيير نهجه الأمني، ثم غرقت المبادرة العربية في دوامة التأجيل والمهل حتى فقدت قيمتها السياسية، مما دفع بالدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية إلى السعي لتبني سياسة تصالحية تحافظ على أكبر قدر من مصالح الدول والأطراف المتنازعة.

وقد شهدت الأيام الماضية مبادرة روسية لتبني قرار يدين العنف في سوريا بمجلس الأمن، ومبادرة عراقية تمت مناقشتها مع الإدارة الأمريكية، ومفاوضات سعودية-إيرانية مباشرة تناولت الملف السوري.

وتؤكد المصادر أن ضعف الأداء الأمريكي تجاه الثورات

العربية قد أفقده ثقة المحور الخليجي الذي سعى إلى مناقشة الأوضاع مع إيران من خلال القطريين والأتراك، وبعد زيارة صالحي إلى الرياض؛ قرر المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني إيفاد وزير الاستخبارات حيدر مصلحي لكونه الأكثر اطلاعاً على تفاصيل قضية محاولة اغتيال الجبير ولقربه من علي خامنئي، وتطرق الحديث عن إمكانية تبني حل وسط لوقف نزيف الدم السوري، وتزامن ذلك مع دعم الجامعة العربية مساعي العراق لمشروع وساطة قيل إنها تتضمن خمس خطوات متسلسلة زمنياً؛ تبدأ بقرار من جامعة الدول العربية بتجميد العقوبات التي فرضتها على سوريا، تليها مبادرة النظام بإقالة رؤساء الأجهزة الأمنية كإشارة لنبذ الحل الأمني، ثم تفتح دمشق مجال الحوار الداخلي، تليه مبادرة لحوار المعارضة الخارجية مع النظام تحت رعاية عراقية، على أن تختتم هذه المبادرة بحوار سوري شامل برعاية الجامعة العربية.

وتؤكد المصادر أن إيران تقف بقوة خلف هذه المبادرة التي ناقشها نوري المالكي مع أوباما في زيارته إلى واشنطن في ١٢ ديسمبر، ولا شك بأن الشعب السوري سيكون هو الخاسر الأكبر من هذه الصفقة التي تعدها الأطراف المتنازعة خروجاً من الخلاف بينها وخوفاً من تفاقمه.

خيارات الشعب وتوجهات المعارضة

بات من الواضح للشعب السوري أن أغلب المبادرات الإقليمية تخدم مصالح الدول المتقدمة بها، ولا تحقق بالضرورة مصالحه وتطلعاته، فجميع المؤشرات تؤكد على أن المفاوضات تتجه نحو إحداث تغييرات شكلية في واجهة النظام، بهدف المحافظة على المصالح الروسية والإيرانية من جهة، ونزع فتيل الأزمة التي تخشى من عواقبها تركيا والدول العربية من جهة أخرى، خاصة وأن الجميع يقر بعجز النظام عن العمل بصورته الحالية، وبأن المعارضة السورية في المقابل لا تمثل بديلاً ناضجاً يمكن الاعتماد عليه في حفظ الأمن والموازنات الإقليمية المعقدة في المنطقة.

لكن جميع الأطراف الإقليمية الفاعلة تتجاهل أن محور المثلث الإستراتيجي، ومحرك المعادلة الإقليمية هو الشعب السوري الذي أخذ زمام المبادرة، ولا يزال يقودها بثبات ورباطة جأش رغم تكبده عشرات الآلاف بين قتيل وجريح ومعتقل، ومعاناته من البرد والتجويع والقمع والتهجير والعقاب الجماعي، ومع ذلك فهو يتمسك بخياره في تغيير حقيقي.

وفي مقابل سعي الأطراف الإقليمية للتوافق على تحقيق مصالحها وحماية أمنها واستقرارها، يدفع الشعب السوري ثمن المناورات السياسية والتأجيل والمماطلة، وفي الوقت نفسه فإن تراكم أخطاء المعارضة قد تتضافر مع أخطاء النظام لترسيخ وضع سوريا كأرضية تستخدمها الأمم في ممارسة اللعبة الإستراتيجية.

ويبقى أمام المعارضة الوطنية خيار آخر يتمثل في تبني مشروع سياسي كامل يهدف إلى استعادة مكانة سوريا كمحور توازن إقليمي، عبر السعي لامتلاك مصادر القوة والتي تتمثل فيما يلي:

١- **تقوية آليات التواصل مع الشعب السوري**، وحشد إمكانيات الداخل؛ إذ يتعين على القوى الوطنية الفاعلة أن تعمل على حشد جميع المكونات الشعبية: السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والثقافية والديبلوماسية لطرح نفسها كطرف في المعادلة إذا أرادت أن تمثل البديل، وأن تجتهد لتأسيس ثقافة سياسية وإعلامية ناضجة تنبع من الداخل، ولا ترتكز في شعاراتها على استجداء التدخل الدولي، ومطالبة الأطراف الخارجية بمواقف لا تحقق مصالحها.

٢- **تمثيل المواطن السوري في الخارج** يمثل المشهد السوري في الخارج ظاهرة يندر مثيلها، ففي الوقت الذي يبلغ فيه عدد سكان سوريا (٢٣) مليون نسمة، قدّرت بثينة شعبان عام ٢٠٠٧ (وكانت وزيرة شؤون المغتربين آنذاك) عدد المغتربين السوريين بأكثر من (١٥) مليون نسمة، في حين ترفع بعض

المصادر تقديراتهم إلى أكثر من (١٨) مليون مغترب، ينتشرون في أمريكا اللاتينية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا (٥٠٠ ألف)، وفي أستراليا (٣٠٠ ألف)، وفي أوروبا ودول الخليج العربي حيث لا تتوفر أرقام دقيقة لأعدادهم، إلاّ أن السفارة السورية في أبو ظبي أكدت وجود (١٤٠) ألف سوري في دولة الإمارات العربية المتحدة.

وتكمن المشكلة في أن هذا العدد الضخم من المواطنين قد استنشقوا هواء الحرية، وأنِفوا حياة الانغلاق والكبت، وهم يمثلون نخبة المجتمع السوري من أطباء وتجار وأكاديميين ومثقفين لم يتمكنوا من تحقيق الحياة الكريمة في وطنهم فلجأوا إلى «الخارج»، وأصبح تغيير النظام أولوية عندهم، ولا يمكن تجاهل الإمكانات المتوفرة لدى المغتربين في دعم القوى الوطنية بالوسائل السلمية غير المتاحة لمواطنيهم في الداخل.

وعلى الرغم من تركز المعارضة السياسية في الخارج إلا أنها لا تزال بعيدة عن حشد طاقات المغتربين وتوظيفها لزيادة الضغط على الأطراف الدولية المتنازعة، ولم تتمكن من كسب أي بعثة ديبلوماسية، على الرغم من الإحراج الذي يتعرض له أعضاؤها بسبب جرائم النظام، ورغبة كثير منهم في إعلان انشقاقهم إذا توفرت لهم البدائل الآمنة.

ولا بد للقوى الوطنية أن تدرك بأن مصادر القوة لا تأتي من اعتراف دولة أو تردد أخرى، وإنما تنبع من تخويل الشعب السوري لها في الداخل والخارج، ومن قدرة هذه القوى على التواصل مع أبناء شعبها والتعبير عن معاناتهم ومظالمهم والتحدث باسمهم والمطالبة بحقوقهم المشروعة.

وعلى الصعيد نفسه؛ فإن ظاهرة اللاجئين السوريين في كل من تركيا والأردن ولبنان قد استقطبت اهتمام الإعلام العربي والدولي، لكنها لم تنجح في إقناع أغلب الجهات السياسية المعارضة بأنها جزء من الحراك الشعبي ونموذج من معاناة السوريين، ولا بد لهذه القوى أن تتبنى مبادرات إنسانية سريعة تجاه اللاجئين عبر دراسة أحوالهم، وإجراء إحصائيات بأعدادهم، وتقديم العون لهم، والتفاوض مع الدول المستضيفة لهم لتسهيل أمورهم، وتبني البرامج الإغاثية والطبية للتخفيف عنهم.

كما أن تنامي ظاهرة الانشقاقات العسكرية قد أفرزت عدداً كبير من المجندين الذين لجأوا إلى الدول المجاورة خوفاً من بطش النظام، وتشكلت قيادة الجيش السوري في الخارج في منأى عن أغلب القوى الوطنية، ولا تزال آلية التعامل مع هذه الظاهرة عرضة لأقاويل وإشاعات ومواقف متضاربة لا تقوم على الشفافية والوضوح، ولا بد من الاستفادة من هذه الظاهرة إقناع الأطراف الإقليمية بأن الشعب السوري الحر قادر على حماية حدوده وحفظ مصالحه واحترام علاقات الجوار مع تركيا والدول العربية.

٣- ترسيخ بنية الكيان الوطني يحلو للجماهير أن ترفع شعارات تنتقص من الجامعة العربية ومن أمينها، إلا أنه من الصعب القول أن التحدي الأكبر الذي واجهته الجامعة تمثل في محاولة لم صفوف المعارضة والتنسيق معها.

ولا بد من التأكيد على أن اللوم يقع في أغلبه على المعارضة السورية وليس على الجامعة العربية التي ربطت بين مبادرتها وبين إشراك المعارضة السورية في العمل على تشكيل حكومة انتقالية موحدة، ومع ذلك فإن سعي البعض لاستبعاد تيارات أو الإضعاف من أخرى، هي أبرز عوائق التوافق في الحوار الذي لا يزال يراوح مكانه بالقاهرة منذ أربعة أسابيع.

أما المعضلة الأكبر فتتمثل في تركيز القوى الوطنية على تحقيق الاعتراف الدولي بها قبل أن تستكمل بنيتها الأساسية، وسعيها لأن تصبح ناطقة عن طموحات الشعب ومطالبه دون استيفاء جهود التواصل مع مختلف أطيافه، ونتيجة لذلك فهي لا تزال بعيدة عن استيعاب أبعاد المعادلة الإستراتيجية.

ولا يعني ذلك أن تعمد القوى الوطنية إلى مقاطعة الحراك الدولي، بل يجب أن تدخل المعادلة الإستراتيجية بوعي وكفاءة واقتدار، وأن تمتلك مصادر القوة، ثم تطرح نفسها كبديل قادر على إخراج البلاد من أزمتها.

الغرب يسعى إلى إسقاط نظام الأسد من دون تدخل عسكري مباشر

سكوت ستيورات – الإمارات اليوم ٢٠١١/١٢/٢٥

أصبح العنف وعدم الاستقرار الذي يسود سورية، وأساليب القمع الذي تمارسه أجهزة الأمن بحق المحتجين، محط اهتمام انظار العالم. ويعتقد الخبراء والمحللون ان الحكومة والمعارضة وصلا إلى نقطة حرجة، إذ لا تستطيع الحكومة إخماد الاحتجاجات، ولا تستطيع المعارضة الإطاحة بالحكومة من دون تدخل خارجي.

من جانب آخر، فإن هناك حرب استخبارات خفية تخوضها الولايات المتحدة وإسرائيل وبعض حلفاء أميركا ضد إيران، بيد ان الهدف الرئيس لهذه الحرب ليس فقط البرنامج النووي الإيراني، إنما ايضا إضعاف قدرة إيران على تشكيل نطاق نفوذ يتمدد عبر العراق ليضم «حزب الله» في لبنان وسورية، ويفكر هؤلاء الحلفاء ايضاً في امكانية الإطاحة بحكومة الرئيس السوري بشار الاسد، الحليف القديم لإيران في المنطقة.

سورية وليبيا

يقارن كثير من المحللين وضع سورية بليبيا التي كانت قبل فترة قصيرة هدفا للتدخل الخارجي، الذي أطاح الحكم هناك، بالفعل هناك أوجه تشابه بين النظامين، فقد وصل نظام الأسد للسلطة بانقلاب عسكري في الوقت الذي تسلم فيه القذافي السلطة في بلاده عبر انقلاب عسكري أيضا، كما ان كلا النظامين يتميز بالوحشية، ومثل ليبيا فإن «سورية مقسمة» إلى طوائف، وتحكمها اقلية طائفية. ومع ذلك علينا الاقرار بأن الوضع في سورية يختلف تماما عن الوضع الذي ساد ليبيا، أولاً: لأن الخط الذي يقسم المجتمع في سورية ليس واضحاً تماماً كما هي الحال في ليبيا، فلا يوجد في سورية منطقة مثل بنغازي تستطيع المعارضة ان تهيمن عليها لتنطلق منها إلى مناطق اخرى. وفي سورية فإن الاحتجاجات عمت جميع ارجاء البلاد، ويدعي الجيش السوري الحر بأنه يشكل وجودا في مناطق عديدة، أكثر من ذلك ان بعض الجنود – معظمهم من السنّة – فروا من الجيش الذي تسيطر عليه نخبة من العلويين. إلا ان سورية لم تشهد هروباً كبيراً لأفراد الجيش مثل الذي حدث في بنغازي بليبيا في بداية الصراع، والذي مد المحتجين بقوات عسكرية كبيرة، وبالمقارنة فإن الجيش السوري ظل متحداً تقريباً مقارنة بالجيش الليبي.

مصالح غربية

ثانياً: لا تتمتع سورية مثل ليبيا بالموارد النفطية، لهذا لم يتحمس الأوروبيون في التدخل لإسقاط حكومة الأسد بالقدر نفسه من الروح التي أسقطوا فيها نظام القذافي، حتى فرنسا التي كانت من بين أقسى الدول الاوروبية لهجة ضد الأسد تراجعت في الآونة الأخيرة عن اتخاذ التدخل العسكري وسيلة لإسقاط النظام. ويجعل الجيش السوري – لا سيما نظام دفاعه الجوي الذي يعتبر اقوى بكثير عن نظيره الليبي – من التدخل العسكري أكثر كلفة من ناحية الخسائر البشرية والمادية، فقد انفقت سورية ٢٦٤ مليون دولار على أسلحة دفاعها الجوي في ٢٠٠٩ و٢٠١٠ بعد الضربة التي وجهتها اسرائيل إلى موقع مفاعلها النووي.

وبما ان معالم المستقبل في ليبيا لم تتضح حتى الآن، فليس لدى الولايات المتحدة وأوروبا الإرادة أو الحافز الذي يشجعهما على خوض حرب اخرى مماثلة، إذ اظهرت التقارير ان العمليات العسكرية لحلف (شمال الأطلسي) الناتو في ليبيا كانت عالية الكلفة، كما ان القوى الاقليمية التي لها مصالح في سورية مثل السعودية والأردن او تركيا لن تقدم على عمل عسكري دون دعم من الولايات المتحدة وحلف الناتو.

خيارات

بغض النظر عما ذكرنا، فإن هناك الكثير من الخيارات التي تدرسها الحكومات الاجنبية للتعامل مع نظام الاسد، ولا تتضمن هذه الخيارات غزواً مباشراً او حتى حملات جوية تدعمها عمليات قوات خاصة. إلا ان الأمر لا يخلو من بعض الاعمال

العسكرية التي يتناسب حجمها مع كل خطوة يتم اتخاذها من اجل اسقاط النظام السوري. مثل التدريب العسكري من قبل مرتزقة او قسم الانشطة الخاصة بالاستخبارات الأميركية (سي آي ايه)، وهناك اقل الخيارات خطورة وأقلها رصدا من جانب النظام، والتي تتمثل في زيادة الانشطة الاستخبارية المضادة داخل سورية، ومن الممكن ان تحتوي هذه الانشطة السرية على الاتصال برموز المعارضة، او تشجيع كبار قادة الجيش لتدبير انقلاب على النظام، او الانضمام للمعارضة. مثل هذه العمليات قد تتطور إلى اعمال أكثر علنية مثل الاغتيالات وعمليات التخريب.

كثيراً ما يصاحب العمليات السرية ضغوط دبلوماسية علنية، تتضمن تقارير صحافية تدين قيادة البلاد، لاتخاذ مبادرات ضد النظام في المؤسسات الإقليمية والدولية مثل جامعة الدول العربية أو الامم المتحدة، وفرض عقوبات اقتصادية دولية، وتتضمن الاعمال العلنية دعوة المعارضة للاجتماع في بلد ثالث، مثلما التقت وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون بقادة المعارضة في جنيف في السادس من ديسمبر الجاري.

المستوى الثاني من استخدام القوة يتمثل في توثيق العلاقة مع المعارضة وتزويدها بالمعلومات الاستخبارية والتدريب والإرشاد، وفي الحالة الليبية حدث هذا الأمر في وقت مبكر، عندما وصل ضباط الاستخبارات الأجانب والقوات الخاصة إلى بنغازي، ثم انتقلوا بعدها إلى جبل نفوسه لتوفير الاستخبارات للمعارضة الليبية عن قوات القذافي. وفي سورية تتمثل المشكلة في انعدام الوحدة داخل المعارضة التي تبدو متشرذمة ومتفرقة، على عكس ما كانت عليه الحال مع المعارضة الليبية.

وفي مثل هذه الحالة، فإن الدول الاخرى تأخذ مقاتلي المعارضة إلى دولة ثالثة من اجل تدريبهم، ونرى اشارات ايجابية تتمثل في البدء في تدريب الجيش السوري الحر في تركيا.

المستوى الثالث هو تدريب المعارضة ومشاركتها المعلومات الاستخبارية وتوفير الأموال اللازمة لها والدعم المهم مثل الطعام والزي العسكري وأجهزة الاتصال والمساعدة الطبية والأسلحة. وينبغي توفير اسلحة مشابهة للأسلحة المستخدمة في البلد المعني، ففي خلال حملة المجاهدين في افغانستان ضد التدخل السوفييتي تم دعم المجاهدين بأسلحة شبيهة بالأسلحة السوفييتية. الشيء نفسه حدث في ليبيا في مايو الماضي، عندما بدأ الثوار استخدام بنادق بلجيكية.

المستوى الرابع للتدخل يتمثل في دعوة القوات الأجنبية للعمل، ويتضمن ذلك قوات عمليات خاصة تعمل بالتنسيق مع قوات ارضية وقوات جوية اجنبية. نجح مثل هذا الاسلوب عام ٢٠٠١ خلال التدخل الاميركي في افغانستان، عندما استخدمت الـ «سي آي ايه» قوات عملياتها الخاصة مع دعم جوي لدعم التحالف الافغاني الشمالي ومساعدته على دحر حركة طالبان بسرعة، تم استخدام هذا النموذج أيضا بنجاح ضد نظام القذافي.

التدريب الخارجي والدعم الاستخباراتي سيساعدان على مضاعفة التأثير الاستراتيجي للهجمات من قبل المجموعات المسلحة مثل الجيش السوري الحر، إذ تدعي المعارضة بأنها شنت عددا من الهجمات ضد أهداف مثل مجمع استخبارات القوى الجوية في ضواحي دمشق، إلا ان مثل هذا الهجوم لا يبدو ذا معنى، لأن النظام السوري اتخذه دعايةً.

إننا نراقب باهتمام شديد ادعاءات الجيش السوري الحر بضرب خطوط النفط والغاز الطبيعي، لمعرفة ما اذا كان مثل هذه الضربات أكثر تأثيرا، كما اننا سمعنا بعض الشائعات من ان القوات الخاصة الأميركية والتركية والفرنسية والأردنية تدرب هذا الجيش، فإذا صدقت هذه الشائعات فإن مثل هذا التدريب سيؤتي ثماره في القريب العاجل.